

أولادنا

الكتاب المقدس

بقلم: أمينة السعيد



Bibliotheca Alexandrina



0035655

مكتبة أفلاطون

٦

الأذغال

تأليف: رديفالد كينج

ترجمة: أمينة الشاذلي

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.٢٠٠٤ع.

أخوة موجلى

إذا غابت الشمس عند المساء ولف الظلام الربى الخالية
تطير الحفافيش رفاة وتنساب رائحة جائيه
وتأوى إلى وكُرهنَّ الحِداء وتخشع في بيتها الماشيه
فإن الفضاء وما يحويه لنا ، ولنا العزّة العاتيه
فنضرب في الأرض أنى نشاء إلى مطلع البكرة التاليه
بظفر وناب لنا صولة وسيطرة الغاب للضاريه
هنيئاً لمن صاد ما صاده إذا اتبع السنن الماضيه
وفي سنّة الغاب من عزّ بزّ فرحى لمن ملك الناصيه
« نشيد الوحوش »

في الساعة السابعة من مساء يوم شديد الدفء عند جبال سيونى ،
استيقظ الأبُ ذئبٌ من نومه اليومى ، وحكَّ جسده وتثاءب ، ثم مدَّ
أرجله واحدةً إثرَ الأخرى ، ليطرُدَ الكسلَ الذى يدبُّ فى أطرافها .
وظلت الأم ذئبةٌ راقدةً ، وقد دَسَّتْ أُنْفُها الرمادىَّ الكبير بين جرائها
الأربعة الباكية التى وضعتها حديثاً ؛ وأرسل القمرُ ضوءَه الفضىَّ من
فُوَّمة الكهف الذى يعشن فيه جميعاً .

قال الألبُ ذئب :

— آه ، لقد حان الوقت للصيد ثانية .

وكان على وشك أن ينهض ، ويهبط عن التل عندما مر بالعتبة
ظل صغير ذو ذيل منقوش ، وسمع عواء يقول :

— فليرافقك التوفيقُ يا زعيمَ الذئاب ، وليكن السَّعدُ والأنيابُ
البيضاءُ القويَّةُ من نصيب صغارك النبلاء ، حتى لا يكونَ جائعٌ في
هذه الدنيا .

وكان المتكلمُ ابنَ آوى اسمه « تاباكي » لاقىُ الصَّحونَ ؛ والذئابُ
في بلاد الهند تحتقرُ ذلك الحيوانَ ، لأنَّه يخلقُ المتاعبَ أينما حلَّ أو
ذهب ، ويثيرُ الفتنَ ، ويأكلُ الفضلات التي يجدُها في كومات قُمامة
القرية ! ولكنَّها تخافه أيضًا ، فهو أكثرُ أهل الغابة استعداداً للجنون ؛
وعندما يصيبه هذا الجنونُ ، ينسى جبينه وخوفه ، ويمرُّ في أنحاء الأدغال ،

ليعقر كلّ ما يقابله في طريقه . وإذا ما جنّ جنونُ تاباكي الصغير
اختبأ الكل حتى الببّر ، فالجنون أعظمُ ما يَشِينُ الحيوانَ المفترسَ .
ونحن نعرف هذه الحالةَ بمرض الكلاب ، ولكن الحيوانات تسميها
« ديوانى » أو الجنون ، وتهربُ من طريقه مسرعةً .

قال الأب ذئب في خشونة :

— ادخل يا هذا ، وانظر بنفسك ، فليس لدينا طعام .

أجاب تاہا کی :

— ليس لديكم طعام لذّيب ، ولكنّ عظمةً جافّةً تكون وليمةً
طيّبةً لشخصٍ وضعيفٍ مثلي ، فمن نحن حتى نتدلّلَ ونختارَ ؟ لسنا
إلا بنات آوى .

وأسرعَ إلى نهاية الكهف حيث وجد عظمةَ غزال عليها بعضُ
اللتحم، فجلس يعرفُها، ويهشِمُ طرفها فرِحًا مسرورًا . ثم قال أخيرًا،
وهو يلعقُ شفّتيه :

— شكراً جزيلاً على هذه الأكلة الطيبة .

واستطرد وهو ينظر إلى الجراء :

— ما أجملَ النبلاءَ الصغار ، يا للعيون النَّجلاء في هذه السن المبكرة ! طبعًا طبعًا ، فأولادُ الملوك رجال منذُ الطفولة .

وكان تابا كي يعرف أن النظر إلى الأطفال ، والتحدث عن محاسنهم ،



يعرضهم لإصابة العين . ويجلب الشؤمَ عليهم ، ويزعج آباءهم ، ومع ذلك تعمد ابن آوى هذا المديحَ ، وسره أن يرى معالم القلق والإحراج على وجه الأب ذئب ، والأم ذئبة .

وسکن تاباکی فی مکانہ فرحاً بما أحدثہ من أذی ، وقال فی خبث :

— لقد غيّر « شيرخان » منطقة قَنْصِه : وسيصيدُ في هذه التلال

خلال الشهر القادم ؛ هكذا قال لي .

وشيرخان هو البير الضخم الذى يعيش بالقرب من نهر « وانجونجا »

على بُعد عشرين ميلاً من هذا المكان .

أجابه الأب ذئب في غضب :

— وبأى حقّ يفعل ذلك ؟! إن قانون الغابة لا يُسمح له تغيير

منطقته قبل إخطارنا في الوقت المناسب . سيخيفُ كلَّ ما يصلحُ للصيد

حولنا ، فيبعدُه عن تناولنا ، مع أنى في هذه الأيام أخرج في طلب

طعام شخصین .

وقالت الأم ذئبة في هدوء :

— لقد أصابت أمه إذ سمته «الأعرج» فهو أعرجٌ منذُ ولادته .

وكان لهذا لا يفترسُ غيرَ الماشيةِ الوداعة. والقرويونَ في وانجونجا ناقمون

عليه من أجل ذلك ، وما هو ذا قد أتى ليغضب أهل القرى القريبة منا

أَيْضًا . سَيَنْقُبُونَ فِي الْغَابَةِ وَيَقْتَفُونَ آثَارَهُ ، وَتَنْضَطِرُّ إِلَى أَنْ نَهْرُبَ

بأولادنا عندما يحرقون الأعشاب للبحث عنه ، فلشیرخان منا مزیدُ
الشکر !!

قال تاباکی :

— اُوْبَلِّغْهُ شُكْرَکُمْ ؟

فتار الأب ذئب غضبًا وقال :

— إليك عنا . هيّا انصرف لتصيد مع سيدك ، فلقد أسأت إلينا
هذه الليلة ، وحسبك ما حدث .

أجاب تابا کی فی هدوء قبل أن ينصرف :

— سأصرف ، وباستطاعتكم أن تسمعوا زئير شيرخان آتياً من
الدغل ، ليتني أرحت نفسي ولم أحملها مشقة نقل هذه الرسالة .

وَأَنْصَبَ الْأَبُ ذُئْبٌ ، فَسَمِعَ مِنْ أَسْفَلِ التَّلِّ ، عِنْدَ الْوَادِي الَّذِي يَمْتَدُّ إِلَى النَّهْرِ ، زَيْتِيراً غَاضِباً لِبَيْرٍ جَائِعٍ مَتَدَمِّراً لَمْ يَوْفَقْ إِلَى صَيْدٍ بَعْدُ ، وَلَا يَهْمُهُ أَنْ يَعْرِفَ أَهْلُ الْغَابَةِ خَيْرَ جَوْعِهِ ؛ فَقَالَ الْأَبُ ذُئْبٌ :

— يا اللغباء ! أبدأ عمله الليلة بهذا الصوت ؟ أيعظن أن المها الوحشية
التي بأرضنا مثل ثيران وانجونجا الكسالى البدينة ؟ !

أجابت الأم ذئبة :

— صَهْ ، إنه الليلة لا يبغى ثوراً أو مهاءً ، بل ينشدُ بشراً .
فلقد صار الزئيرُ نهيتاً يترددُ صدهاء في جميع نواحي الغابة ، وهو

صوتٌ طالما أزعج الخطَّابينَ الذين ينامون في العراء ، وأيقظهم عندَ
الفجر ، وجعلهم - لفرطِ الذعر - يجرُّون إلى البير ، ويلقون بأنفسهم
بين أنيابه في بعض الأحيان .

قال الأب ذئب وهو يكشِّرُ عن أنيابه البيضاء :

- يصيد بشراً !!! أليس في المستنقعات وما يكتنفها من الضفادع والخنافس
ما يكفيه ؟ أيجرُّو على صيد البشر ، ولا يفعل ذلك إلا في أرضنا نحن ؟
إذ أن قانون الأدغال لا يبيع لأى حيوان مفترس أن يقتلَ إنساناً
ويأكله ، إلا إذا فعل ذلك ليعلمَ أولاده ، وإذا ذاك يجبُ أن يكون
الصيد خارجَ حدود منطقة العشيرة . والدافعُ الحقيقي لسنِّ هذا القانون
أن قتلَ الإنسان يعقبه حتماً حضورُ الصيَّادين المسلَّحين فوقَ ظهور
الفيلة يتبعهم مئاتُ الهنود الذين يحملون الطبولَ والمشاعلَ والصواريخ ،
فيقاسى كلُّ مخلوق في الغابة ألوانَ العذاب . وتقول الحيوانات بعضها
لبعض : إن الإنسانَ ضعيفٌ أعزلٌ ، فليس من الشَّامة قتله ؛ وتقول
أيضاً - وهي حقيقة - إن أكلةَ البشر من الحيوانات تصاب بالحرَب
وتساقط أسنانها أيضاً .

وازداد النهيتُ وعلاً شيئاً فشيئاً حتى انتهى بأشد ما تقوى عليه سحجرةُ
البير من الزئير ، ثم نبَحَ شيرخان كما تنبَحُ الكلاب ، فقالت الأم ذئبة :
- لقد أخطأ فريسته ؛ نرى ما الذى حدث ؟ !

وجرى الأب ذئب إلى الخارج ، وتقدم بضع خطوات ، فسمع
شيرخان يزججِرُ في وحشية وهو يتعشّر في طريقه بين الشجيرات ؛ فقال
الأب ذئب في ازدياء :

— لقد قفز الأبله فوق فيران أحد المخطئين فشاطت أرجله . ها هو ذا
تاباكي يصحبه .

فَقَالَتِ الْأُمُّ ذُبَّةُ ، وَهِيَ تَرْفَعُ أَغْنِيَهَا وَتَرْهِفُهَا لِلسَّمْعِ :
- أَسْمَعُ حَرَكَةً شَيْءٍ يَصْعَدُ فِي التَّلِّ ، فَلَنَسْتَعِدَّ .

واهتزت الشجيرات في الدغل ، فربض الأب ذئب على مؤخرته
تحفرًا بالوثوب ، ثم تلا ذلك منظرٌ عجيبٌ : فقد وثب الذئب وثبته حتى
علا فوق الأرض ثم تردد وارْتَدَ حتى هبط في مكانه الأول ! بدأ بالوثوب
قبل أن يُدبرِكَ حقيقةَ الهدف الذي يتجه إليه ، فلما تبينه حاول أن
يمنع نفسه من إتمام قفزه ، فاستدار بعد أن ارتفع فوق الأرض ، وهبط
في المكان الذي قفز منه ، وزمجر قائلاً :

— اِنَّهُ بَشَرٌ . جَرَّوْ رَجُلٍ . انظري .

والتفت الأم ذئبة فرأت أمامها طفلاً أسمر اللون عاريَ الجسد ، تعلم
السير حديثاً ، وقد استند إلى غصن قصير ، فكان أغرب ما استقبله
بجوار ذئب في الليل . ورفع الطفل رأسه ، ونظر إلى الذئب ضاحكاً .
سألت الأم ذئبة :

— أهذا جرؤ بشرى ، لم أرَ واحداً من قبل ، فأحضره إلى .

والذئب الذي اعتاد أن ينقل صغاره من مكان إلى مكان ، باستطاعته

— إذا دعا الأمرُ — أن يحمل في فمه بيضةً دون أن يخطمها ، وكذلك

فعل الأب ذئب بالطفل ، فأطبقَ فكَّيْه على ظهره ، ووضَّعه بين

صغاره دونَ اَن یصیبه بأذی .

هتفت الأم ذئبة في رقة :

— إنه عارى الجسد ، ما أصغره وما أشجعه ! !

فلقد كان الصبي يخترق طريقه في شجاعة بين الجراء ، ليتدفأ .

واستطردت الأم :

— يا للعجب ! إنه يتناول طعامه معهم . هذا إذاً رجل " صغير " ،

أَسْمَعَتْ مِنْ قَبْلِ أَنْ ذُبِّهَ رَبَّتْ بَيْنَ صِغَارِهَا جُرُوءاً بَشَرِيًّا ؟

أجَاب الأب ذئب :

— سمعتُ بمثل ذلك ، ولكنى لم أرهُ فى العشيرة طوآلَ حياتى .

يا لحسده الأملس . إن لمسةً بكفى كفيلاً أن تقتله . انظري كيف

يشخصُ إلينا دونَ خوفٍ أو وجلٍ .

وفي هذه اللحظة احتبس ضوء القمر عن الكهف ، فنظر الأب

ذئب إلى فتحة الجحر فرأى البير شيرخان يحشُر رأسه الكبيرَ وكتفيه

العريضتين فيها . وارتفع صوت تَابَا كِي يُعْزَلُ من خلفه قائلاً :

— لقد دخل هنا يا مولاي .

فنظر الذئب إلى البير وقد التمع الغضب في عينيه وقال :

— شیرخان یسبع علینا شرفاً عظیماً بزیاارتہ، فہذا یرید شیرخان ؟
 أجب الیہ :

— أريد قنيصتي ، جـرّواً بشرياً اتجه إلى هذه الناحية . لقد هرب والداه ، وتركاه خلفهما ، فأعطنيهِ .

وكان شيرخان قد قفز على نارٍ أوقدها أحدُ الخطّابين كما ظنّ الأب
ذئب من قبلُ ، فثار غاضباً من ألم أقدامه المحترقة . ولم يهتم الأب
ذئب كثيراً بغضب شيرخان ، لأن مدخل الكهف كان أضيقَ من أن
يلجّه البير .

أجواب الأب ذئب :

— الذئاب شَعْبٌ حَرٌّ يتلقى الأوامر من رعيم العشيرة ، لا من بير
مثلك قاتلِ أبقار مخطط الجلد . ولتعلم أن جرؤَ البشر ملكتنا ، ولنا نحن
أن نبقية أو نقتله إذا أردنا .

— إذا أردتم ؟ ! ما هذا الكلام ؟ وماذا تريدون ؟ أقسم بالثور الذى قتلته أننى لن أبى واقفًا عند جُحر الكلاب الذى تعيشون فيه من أجل قنيصتى . ألا ترى أن الذى يتحدث إليك هو شيرخان العظيم ؟ !

وردّت جدران الكهف صدّى زئيره . كأنه الرعدُ ، فنهضت الأم

ذئبة ، وابتعدت عن جرائها ، وتقدّمت نحو الفُوهة مسرعةً ، وواجهت
عيني شيرخان المتقدّتين وحدّقت فيهما بعينين خضراوين تلتزمان في
ظلام الكهف مثل الشُّهْب ، وقالت :

— وأنا « راكشا » الشيطانة التي تجيبك . إن هذا الجحرو ملكى ،
ولى وحدى ، فلن أمكنك من قتله . سيعيشُ مع العشيرة ، ويجرى بين
أبنائها ويصيدُ معهم ، وسوف يصيدك أنت بعد حين يا قانصَ الجراء
العُراة ، ويا آكلَ الضفادع وصائدَ الأسماك . والآن اذهب عنا ،
يا آكلَ البقرات العجاف ، وإلا فقسماً بالوَعْل الذى قتله لأعيدنك
إلى أملك ، أشدَّ عرجاً مما كنتَ يوم جئتَ إلى هذه الدنيا . هيا انصرف
عنا يا وحشَ الغابة المحترق !

ونظر إليها الأب ذئب معجباً فخوراً ، فلقد كاد ينسى صورة زوجته يومَ كانت في ريعان شبابها تجري بين العشيرة ، وتلقَّبُ بالـشيطانة عن جدارة واستحقاق . وعندما أراد الزواج منها لم يظفر بها إلا بعد أن نازل خمسة ذئاب وهزمها جميعاً .

لقد كان شيرخان يستطيع أن يقفَ أمامَ الأب ذئب ، أما هي فلن
يستطيعَ معها ذلك أبداً ، ولو فعل لقاتلته حتى الممات ؛ كان شيرخان
يعرف حق المعرفة أن المكانَ الذى يقف فيه يُتيحُ لها الفرصة للتغلب
عليه . فراجع عن فتحة الكهف مزججاً ، وصرخ من الخارج يقول :

— حَقًّا إِنْ الْكَلْبَ يَنْبَحُ فِي دَارِهِ . سَمِعْتُ مَا تَقُولُهُ الْعَشِيرَةُ عَنْ رَغْبَتِكَ
فِي تَبْنِيٍّ جَرَوْا بِشَرِّ . إِنَّهُ مَلَكِي ، وَسَيَعُودُ إِلَى آخِرِ الْأَمْرِ ، فَتَمْرُقُهُ
أَنْبِيَائِي ، أَيُّهَا اللَّصُوصُ ذَوِي الْأَذْيَالِ الْمَنْفُوشَةِ .

وعادت الأم ذئبة وهي تلهث ، وألقت بنفسها بين جِرائِها ، فقال لها الأب ذئب :

— لقد صدّق شيرخان ، ومن واجبنا أن نعرض الجرو على العشيرة .
فهل أنت مصرّة على الاحتفاظ به ؟
فشهقت مجيبة :

— أحتفظ به ؟ ! طبعاً ، فلقد لجأ إلينا بين طيَّات الظلام عارياً
جائعاً ، وما خافنا ولا خشينا بأسنا . انظر ، ألا تراه ؟ لقد أزاح أحد
صغاري من مكانه ليجلس بيننا ، لو استطاع هذا القصاب الأعرج
أن يأكله لفعل ثم هرب عائداً إلى منطقة صيده في وانجونجا ، فيجىء
القرويون إلينا هنا وينقبون عن الجرو والصغير في كل مسكنٍ من مساكننا ،
وينتقمون منا له . ثق أنني سأحتفظ به .

ثم التفتت إلى الصبي قائلة :

— نمّ واسترح أيها الضفدع الصغير . ثم يا « موجلي » . سيكون اسمك بيننا موجلي « الضفدع » ، وسيأتي اليوم الذي تقتنص فيه شيرخان كما أراد أن يقتنصك الليلة .

سؤال الأب ذئب :

— ولكن ما الذى ستقوله العشيرة ؟

وكان قانونُ الأدغال ينصّ في وضوح على أن الذئب إذا تزوج
فمن حقه أن ينسحب من العشيرة إذا أراد ؛ ولكن يتحتم عليه حين
تكبر جراؤه ، وتستطيع المسير أن يصحبها إلى مجلس الشورى الذي
ينعقد عادةً عند اكتمال القدر من كل شهر ، وذلك ليعرضها على
الذئاب الأخرى لتعرفها . وللجراء بعد هذا العرض الحرية في الذهاب
أيما شاءت . وإلى أن تقتنص تلك الجراء أول فريسة لها ، لا يصح
لذئب من العشيرة أن يقتل أحدها . والموت هو العقاب الوحيد لمن
يقترف هذه الجريمة .

وانتظر الأب ذئب بعض الزمن حتى استطاعت جراؤه السير قليلاً ، ثم ذهب هو والأم معهم إلى اجتماع العشيرة ذات ليلة ، وأخذوا معهم الطفل موجلى ؛ وقصد الجميع صخرة الشورى التى تقع فوق تل كثير الأحجار والصخور حيث تستطيع مئات الذئاب أن تختبئ وراءها .

وكان « أكبلا » (الذئب الأوحده) العظيم هو الذي يتزعّم العشيرة بفضل قوته ودهائه ، وكان يرقُد متمدداً فوق صخرته ، ومن حوله كان يجلس ما يزيد على أربعين ذئباً من كل لون ومن كل حجم : بعضها رماديّ مخنك يستطيع أن يقتنص فريسته دون مساعدة ، وبعضها أسود

لم تكتمل حينئذ بعدُ لأنه ما زال في الثالثة من عمره . ولقد سادها الذئب الأوحـدُ خلالَ العام الأخير ؛ لأنه كان قد وقع أيام الشباب مرتين في شركٍ ، وضرب مرةً حتى أوشك أن يموت . فتعلم أساليب البشر وعاداتهم فنجح في زعامته كلَّ النجاح .

وكان الحديثُ عندَ الصخرة قليلاً . والجرأُ الصغيرة تتعثر داخل الحلقة التي يجلس فيها الآباء والأمهات ؛ وبين آن وآخر يتقدمُ ذئب كبير نحوَ جروٍ منها ، ويتأملُه ملياً ، ثم يعود إلى مكانه في خطئى خافته . وفي بعض الأحيان تقود إحدى الأمهات صغيرها ، وتُجلسه تحت ضوء القمر ، حتى تستطيع الذئاب أن تراه في وضوحٍ . ويهتف أكبلا من فوق صخرته قائلاً :

— إنكم تعرفون القانُون ، فانظروا جيِّداً أيها الذئابُ .

وترددُ الأمهاتُ القلقات بعده :

— انظروا ، نعم انظروا جيداً . أيها الذئاب .

واقشعرت الأم ذئبة عندما حان الوقت لعرض الصبي ، ودفع الأب
ذئب موجلي « الضفدع » - كما يسمونه - داخل الحلقة ، فجلس الصبي
ضاحكاً ، وهو يعبث ببعض الحصى الذي يلتصق تحت ضوء القمر .
ولم يرفع أكيلا رأسه وقد أسنده فوق يديه ، واستمر في نداءه الذي
لا يتغير قائلاً :

مباحًا له أن يذهب ويحییءَ أينما شاء ، لأنه يقتات بالبحوز والحدور
وأقراص الشَّهد ، ويأكلها قانعًا وهو رابضٌ على وجليه .

قال يالو :

— جرو البشر ؟ جرو البشر ؟ سأدفع عنه وإن حرمت ملكة
الخطابة . صدقوني ليس هناك خطر في وجوده ، دعوه يجرى مع العشيرة ،
واقبلوه بين أبنائها ، وأتعهد لكم بتعليمه .

أجَابُ أَكِيْلَا :

— نحن في حاجة إلى مؤيد آخر . لقد تكلم بالو ، وهو معلم
جرائنا الصغار ، فمن منكم يرى رأيه ؟

وسقط في الحلقة شبَّحٌ أسود ، ثم ظهر « بجھيرا » النَّمير الأسود ،
وبدا حالك اللون اللهم إلا من يقع تلتمع تحت ضوء القمر كالحرير
المنقوش . كانت الذئاب تعرف بجھيرا ، وتخشى أن تعترض طريقه ،
لأنه أمكر من تاباكي ، وأقوى من جاموس الوحش ، وأجراً من فيل
جريح ؛ ولكنَّ صوته كان في جلاوة الشَّهد البري الذي يتساقط من
الأشجار ، وجلده في بهاء الفجر وجماله .

قال في صوت منخفض :

— يا أكيلًا ، ويا شعبَ الأحرار . ليس لي حقّ الحديث في مجتمعكم هذا ، ولكن قانونَ الأدغال يقول : إنه في غير حالات القتل

إذا قام خلاف في أمر أحد الجراء : أمكن شراء حياة هذا الجرو بثمن معين . ولم يحدد القانون من لهم حق دفع هذا الثمن ومن ليس لهم . ألسن صادقاً فيما أقول ؟

أجابت صغار الذئاب النهمة :

— حسنًا . حسنًا . استمعوا إلى بجهيرا . يمكن شراء حياة الحر و
بشمن معين . هذا هو نص الثمانون .
— أريد أولاً أن أستاذنكم في الحديث ، ما دمت لا أملك حقّه هنا .
فهتف عشرون صوتاً معاً :

— تکلم إذاً ، تکلم إذاً .

فقال بجهرا :

— من العار أن تقتلوا جرّوا عاريّاً ، فضلاً عن أنه قد يستطيع أن يساعدكم كثيراً عندما يكبر . لقد تكلم بالو ودافع عنه : وإني أعرض عليكم ثوراً سميناً قتلته منذ قليل ، وهو ملقى على بُعد نصف ميل من مكانكم هذا ، فإذا جعلتم جرّو البشر واحداً منكم منحتكم إياه . أتوافقون ؟

فتعالت عشرات الأصوات تقول :

— وأى ضرر من بقاء الجرو بيتنا ؟ سُمِيَّتِه حَمًا أمطارُ الشتاء ،
أو تحرقه شمس الصيف . أى ضرر يستطيع أن يلحقه بنا ضِفْدَعٌ



عارى الجسد ؟ دعوه يعيش مع العشيرة . أين الثورُ يا بجهيرا ؟ اقبلوا
الجرو سريعا .

وارتفع صوت أكيلا الجهير يقول :

— انظروا جيّداً . انظروا جيّداً ، أيها الذئاب .

وكان موجلى منصرفاً إلى اللعب بالحصى . ولا يفكر في شيء سواه .
فلم يرَ الذئاب وهي تقترب منه . وتتأمله واحداً إثرَ واحد . وأخيراً هبط
الكلّ التلّ سعيّاً وراء الثور الهتيل . ولم يبق عند صخرة الشورى غير
أكيلا وبجهيرا وبالو وذئاب موجلى . وزأر شيرخان غضباً ، لأن
الصبيّ لم يُسلم إليه .

فتمتم بجهيرا مغيظاً محنقاً :

— نعم . ازأر زئيرَ الجيروت والعزّة ، فعن قريب سيجعلك هذا المخلوقُ
العارى الصغيرُ تزأرُ زئيرَ الضعف والذلة ، وإلا فما أنا بأمرور البشر عليم .

قال أكيلا :

— حسناً فعلتَ بدفاعك عن موجلى ، فلبشر وجرائهم ذكاءٌ عظيم ،
وقد يساعدنا هذا الجرو كثيراً عندما يحينُ الوقت .

فأجاب بجهيرا :

— صدقت ، سيساعدنا في وقت الحاجة ، فليس لأحد أن يأملَ
في زعامة العشيرة إلى الأبد .

ولم يقل أكبلاً شيئاً ، فقد كان يفكر فيما يصيب كل زعيم للعشيرة عندما يتقدم به العمر وتزايده القوة ، ويزداد به الضعف يوماً بعد يوم إلى أن تقتله الذئاب أخيراً ، ويتبوأ مكانه زعيم آخر ، ليقتل كذلك عندما يأتي دوره ، وتدنو شمس حياته من الغروب .

قال أكيلا للأب ذئب :

— لقد أصبح ربيك من العشيرة ، فانصرف به ، وعلمه جيداً كما يتعلم أبناءُ شعب الأحرار .

وہمکنہ داخل موچلی عشیرہ ذئاب سیونی بفضل تأیید بالو ، و بشمن
بذکہ بچھیرا قلرہ تور شحیم ۔

• • •

مضت عشرُ سنواتٍ أو ما يزيدُ ، وموجلي يعيشُ بينَ الذئاب ...
فليتصور القارئ تلكَ الحياةَ الرائعةَ التي تمتعَ بها خلالَ هذه الفترة ،
لأننا لو أردنا سرِّدَ حوادثها ، لفاضتُ بها كتبٌ عدَّة : فقد عاش مع
الذئاب ، ونشأ بين الجِراء التي بلغت سنَّ النضج ، وهو ما زال صبيّاً .
ولقَّنه الأب ذئبَ واجباته وأعماله ، وعلمه معانيَ مختلف الأشياء في الغابة ،
حتى صارَ حفيظُ الحشائش والأشجار ، ونسيمُ الليل الدافئ ، ونعيبُ
البوم ، وحركةُ الخفاش ، ورَّذاذ الماء الذي يعقب قفْزَ الأسماك في الغدير ،

صارت كلها لغات مألوفةً لديه يفهم معانيها ودقائقها ، كما يفهم أيُّ عاقل معاني عمله ودقائقه .

وعندما كان موجلى ينتهى من درسه ، كان يقضى بقيّة وقته فى الجلوس . أو النوم فى الشمس . أو فى الأكل الذى يعقبه النوم ثانية . وإذا ضايقته القذارة ، أو أحسّ بحرارة الجو ، نزل فى أحد عُدران الغابة يسبح فيه . وكان إذا أراد أكلَ الشَّهْد وقد أخبره بالو أن الشَّهْد والجوز لا يقلان لذةً عن اللحم النّىء - تسلق الأشجار للحصول عليه . وعلمه بجهيرا كيف يتسلق الأشجار ، فكان يسبقه إليها ، ويبسط جسمه فوق أحد الغصون الكبيرة ، ويهتفُ بالصي مشجّعاً :

— تقدم أيها الأخ الصغير .

وفي بادئ الأمر كان موجلى يتعلق بالشجرة مثلما يفعل الحيوان^١ المسمى بالكسلان ، ولكنه استطاع بعد وقت قصير أن يتقن التسلق ، ويقفز بين الغصون في شجاعة التمرّدة وخفّتها .

وأخذ موجلي مكانه أيضاً فوقَ صخرة الشورى عند اجتماع العشرة ،
وهناك كشف أنه إذا حذق بنظره إلى ذئب غَضَّ ذلك الذئبُ طرفه ،
ونخفض عينيه ، وعجز عن مقابلة نظراته بمثلها ، فدفعه هذا الكشفُ
إلى أنه صار يحدق في كل من رآه لا يطلب من ذلك سوى التسلية .
وكان في بعض الأحيان ينحني فوق أصدقائه ليتزعم الأشواك الطويلةَ

ولقد أخبرته الأم ذئبة أكثرَ من مرة أن شيرخان لا يؤمن ، وعليه
في يوم من الأيام أن يقتله . ولو أنه كان ذئبًا صغيراً لتذكر هذه
النصيحة ، ولكن موجلي كان دائمَ النسيان ، لأنه صبيٌّ على كل حال ،
مع أنه لو استطاع التحدث بلغة بشرية لسمى نفسه ذئبًا .

وازداد تردد شیرخان على المكان ، فقد تقدم العمر بأكيلا ، وبدأت قواه تتخاذل ، فانتهاز البير هذه الفرصة ، وتقرب من صغار ذئاب العشيرة وصادقها ، فتبعته أينما ذهب من أجل بقايا طعامه ، وهو أمرٌ مُشينٌ ينكره الزعيمُ لكل الإنكار . وما كان يسمح به لو كان في جنفوان قوته ، وقدرته على بسط سلطانه كما يجب .

وتبعته الذئاب الصغيرة شيرخان ، فراح يتملقها بالحديث ويعجب
كيف ترضي قناصة قوية مثلها بقيادة جمرؤ بشرى ، وزعامة ذئب
عجوز يشك أن يموت ، ويقول :

– سمعتُ أنكم في مجلس الشورى لا تجرؤون على مواجهة نظراته،
والتطلع إلى عينيه .

فَتُزَجَّرُ الذَّنَابُ وَتَقِفُ شِعُورُ أَعْنَاقِهَا غَضِبًا .

ويبلغ بجهرٍ بعضُ هذا الحديث ، فما كان يغيبُ عنه أمرٌ في الغابة ،
وتكلم مع موجلي كثيراً ، وأفهمه أن شيرخان سيقتله ذاب يوم ؛ فكان
الصبي يضجك ويقول :

— إن العشيرة معي ، وأنت أختي ، وبألو صديقي على الرغم من كسله ، وأظنكم جميعاً على استعداد للدفاع عني إذا اقتضى الأمر ، فلماذا أخاف إذا ؟ !

وفي أحد أيام الصيف الدافئة ، نبتت لدى يجھيرا فكرة عقب
حديث حمله إليه « إيكى » القنفذ ، فصحب موھلى إلى الغابة ، وتوغلا
بعيداً بين الأشجار ، وهناك تمدد النمر ، ووقد الصبي إلى جوار صديقه
الأسود ، وتوسد ظهره الجھيل ؛ فقال يجھيرا :

— أيها الأخ الصغير ، كم مرة أخبرتك فيها أن شيرخان عدوك
الأكبر ؟

— أكثر من عدد الجوز الذى يحمله هذا النخيل .
فلم يكن موجلى بطبيعة الحال يعرف العدد . واستطرد الصبي قائلاً :
— وبعد ؟ إتنى أريد النوم يا مجهول ، وأنت تعرف أن شيرخان
فخور مغرور مثل « ماوو » الطافوس .

— ليس هذا وقت النوم يا صديق ، فبالو يعرف صدقَ هذا القول ،
العشيرة كلها تعرف ، وحتى الغزالة البلهاء تعرف هذا ، ولقد أخبرك به
تاباكي .

فأجاب موجلي ضاحكًا :

— لقد أفضى تابا کی الیٰ بحديث أنکرته علیہ ، وهو أنى جرؤ

بشرى عارى الجسد ، ولستُ أهلاً لشيءٍ حتى النّيبش عن الجذور .
فأمسكت بذيله ، وطوحت به فى الهواء ، وضربت به جذع النخلة .
لألقنه درساً فى الأدب .

— طيشاً منك أن فعلت ، حقاً إن تابا كي مُشاكس يجلب المتاعب دائماً ، غير أنه يستطيع أن يخبرك بالكثير مما يُهمك . تنبه يا أخى الصغير ، فإذا كان شيرخان لا يقدر أن يقتلك الآن ، فإنه يجب عليك ألا تنسى أن العمر قد تقدم بأكيلا ، وسيخطئ طريدته عن قريب ، ويعجز عن قتلها ، فيُنحى عن منصب الزعامة . ولقد تقدم العمر كذلك بكثير من الذئاب التى رأتك يوم جئت إلى مجلس الشورى أول مرة ، والذئاب الفتية تعتقد — كما علمها شيرخان — أنك جروٌ بشرى دخيلٌ على العشيرة ؛ وأنت ستصبح رجلاً عمماً قريب .

قال موجلی :

— وأى قيمة للرجل إذا لم يستطع أن يعيش مع إخوته ؟ لقد
وُلِدْتُ في الأدغال ، واحترمت قانونها ، وليس في العشيرة ذئب واحد
لم أنزع الشوك من قدمه . كلهم إخواني دون شك !

ومدّ پچھرا جسده ، وأطبق جفنيه نصف إطباق ، وقال :

– أيتها الأخ الصغير ، المس ما تحت فكتي .

فوضع موجلى يده السمرء القوية تحت ذقن بجھيرا الناعم ، حيثُ

تختفي عضلاته الجبّارة تحت طبقات شعره الكثيف ، فلمس جزءاً عارياً
من الشعر .

ثم قال بجهيرا :

— ليسَ في الغابة كلها مخلوقٌ واحدٌ يعرفُ أن بجھيرا يحمل هذه العلامة ، علامةَ الطوق . لقد وُلدت ، يا أخى الصغير بين البشر ، وبين البشر ماتت أُمى داخل قفص القصر الملكى « بأديبور » . ومن أجل العشرة القديمة افتديت حياتك في مجلس الشورى عندما كنت جرواً صغيراً عارى الجسد . نعم ، فقد وُلدت أنا أيضاً بين البشر ، ولم أرَ الغابة أبداً في حدائى ، وكانوا يطعمونى في إناء حديدى يُدفع إلى مرة من بين أعمدة القفص . وفي ذات ليلة شعرت فجأة أننى بجھيرا النمر ولستُ لعبة الناس ، فحطمت القفل بضربة واحدة من كفى ، وهربتُ من القفص . ولأننى مارست أساليب البشر ، وعرفت طرقهم وعاداتهم ، صرت أخطرَ أهل الغابة جميعاً ، ولا أستنى أحداً حتى شيرخان ، أليس كذلك ؟

أجاب موجلی :

— صداقت ، فالغابة وعامة من فيها تخشى بجهرا ، وكلهم يرتعد

منك خوفًا ما عدا موجلي !

قال النمر في حنبو :

— إنك جروٌ بشريٌّ، وكما عدتُ أنا إلى الغابة، يجب أن تعود أنت إلى شعبك ، إلى إخوانك البشر . هذا إذا لم يقتلوك في مجلس الشورى !

وسأل موجلي :

— يقتلونى ؟ ولماذا يسعى أحدٌ إلى قتلى ؟

قال مجھیرا :

— انظر إلى .

ورفع الصبي نظره إليه ، وتأمل عينيه ، فلم يستطع النمر أن يبادلَه
النظر ، وأدار رأسه في سرعة وعَجَبٍ ، ثم قال ، وهو يحرك مخالبه فوق
أوراق الأشجار الجافة :

— هذا هو السبب ، حتى أنا لا أستطيع مواجهة نظراتك ! ولكني أحبك يا أخى الصغير لأننى وُلِدْتُ بين البشر ! أما الآخرون فيكرهونك لأنهم لا يقوونَ على النظر إليك ، ولأنك ذكىٌ ، ولأنك تتزع الأشواك من أقدامهم ، وأخيراً لأنك بشرٌ !

قال موجلي واجملاً :

—لم أكن أعرف هذه الأمور .

وقطب جبينه ، وعقد حاجبيه الكثيفين ، فارتفع صوت بجهيرا يقول
 — ألا تعرف قانون الغابة ؟ إنه يقول اضرب أولا ثم تكلم ، فإهمالك
 يذكركم دائما بمنسك . كن حكيما يقطئا ! ولتعلم أن أكىلا يبدل

جهداً كبيراً لاقتناص مهابة صغيرة ، وقلبي يحدثني أنه عندما يخطئ صيده القادم ستتقلب العشيرة عليك وعليه ، ويعقدون مجلس الشورى عند الصخرة ، لطرده والانتقام منك ؛ وقد أتولى أنا الزعامة بعد ذلك .

واستطرد قائلا وهو ينهض :

— اذهب سريعاً إلى أكواخ القرويين في الوادي ، وأحضر جزءاً من الوردة الحمراء التي تنمو هناك ، حتى إذا أزف الوقت ، كان بجوارك صديقٌ أقوى مني ، ومن بالو ، ومن كل من يحبك في العشيرة . هيا ، اذهب وأحضر الوردة الحمراء .

وكان بجهيرا يقصد بالوردة الحمراء النار ، فما من مخلوق في الغابة عرف اسمها الحقيقي ، وعاش كلهم في رعب شديد منها ، واخترعت مئات الطرق لوصفها .

قال موجلی :

— الوردۃ الحمراء ؟ تلك الی تنمو خارج أکواخ القرویین عند الغسق ؟ سأحضر جزءاً منها .

أجاب بجهيرا فخوراً :

— هكذا يتكلم ابنُ البشر. تذكر أنها تنمو في أوانٍ صغيرةٍ ،
فأسرع بإحضار واحدةٍ منها ، واحتفظ بها حتى يحين الوقت .

— ما الذى يُقلقك يا بنى ؟

فأجاب :

— أقاويلٌ تافهةٌ يرددها شيرخان . سأخرج الليلة إلى الحقول .

وانحدر مسرعاً بين الشجيرات إلى الغدير الذي يجري في بطن الوادي،
وهناك أحجم عن المسير قليلاً ، فقد سمع أصوات العشرة وهي تصيد .
وتردد في أذنه نَبِيبٌ وَعَلٌ يطارد ، أعقبها زمجرةٌ عندما استدارت الفريسةُ
وهربت إلى الخليج . وتعالى عواءٌ قاسٍ شريرٌ ، وهتفت الذئاب الفتية تقول :

— أَكِيلا : أَكِيلا ، دعوا الذئب الأوحـد يستعرض قـوته ، أفسحوا

مكانًا لزعيم العشيرة ، اقفز يا أكبلا !

ويبدو أن الذئب الأوحـد وثب على فريسته فأخطأها ، فقد سمع
موجلي صرير أسنانه ثم عواء الألم الذي أطلقه عندما ركله الوعل بساقه .
ولم ينتظر موجلي أكثر من ذلك ، واندفع في طريقه جرياً ، فتضاءلت
الأصوات في أذنيه ، وهو يتوغل في حقول القمح حيث يعيش القرويون .

وقال لنفسه :

— لقد صدق بجھیرا .

واختفى بين أكداس عشب الماشية الجفاف بجوار كوخ من الأكواخ.

ثم قال :

— سيكون الغد يومى ويوم أكيرا أيضاً .

— لقد أخطأ أكبلا صيده ، وإن القوم استضعفوه ، وكادوا يقتلونه
أمس . لولا أنهم يريدونك أيضاً ، وقد بحثوا عنك كثيراً فوق التل .

ورفع موجلى إناء النار بين يديه وقال :
— كنت فى الحقول ، وأنا الآن على أتم استعداد لمقابلتهم ، فانظر
ما أحضرته معى !

فقال مجھیرا :

— حسنًا فعلتَ ، وقد سبق أن رأيت رجالاً يضعون في هذا الإناء غصنًا جافًا ، فتألقُ الوردَةُ الحمراءُ عندَ طرفه . أنت خائف ؟ — لا . ولمَ الخوف ؟ أذكرُ الآن — إن لم يكن حلمًا — كيف كنت أرقدُ قبل أن أصبح ذئبًا بجوار الوردة الحمراء ، فتبعث في جسدي دفنًا ممتعًا .

وظلّ موجلي طيلة اليوم جالساً في كهفه ، وهو يذكي النيران ،
ويضع فيها الأحطاب الجافة ، فتريد تألقاً . واحتفظ بغصن كبير ألقاه
بجانبه ، فلما جاءه تاباكي في المساء ، ودعاه في قِحةٍ وغلظةٍ إلى صخرة
الشّورى ، ضحك الصبيُّ كثيراً حتى تملك الخوف تاباكي ، فابتعد
مسرّعاً ؛ وسار موجلي بعد ذلك إلى الصخرة ، وهو ما زال ضاحكاً .
وكان « الذئبُ الأوحْدُ » أكيلاً لا يرقدُ فوق صخرته بل بجوارها ،
إيذاناً بأن زعامة العشيرة قد غدت شاغرةً ؛ في حين أن شيرخان جعل يسير

جيثه وذهابًا في جرأة عظيمة ، تتبعه أكلة الفضلات من الذئاب بادية
الغرور الكاذب . وجثم بجهيرا بالقرب من موجلى الذى أنخى إناء النار
بين ركبتيه . وعندما اكتمل العدد تكلم شيرخان ، وهو أمر لم يكن
يجرؤ عليه أيام مجد أكىلا وسلطانه .

وتتم بجھيرا يھمس في أذن موجلي :
 — ليس من حقہ أن يتكلم . انهض وقل : اء ذلك . وسيغيط كلامك
 ابن الكلاب .

وقفز موجلي واقفًا ، وهتف قائلاً :
— يا شعب الأحرار ، بأى حق يتدخل بَبرٌ في أمر زعامتنا ؟ ! أيقود
شيرخان العشيرة ؟

أجاب شيرخان :
— إن الزعامة شاغرة ، وإني دعيت إلى الكلام .
فقاطعه موجلي :

— ومن الذى دعاك ؟ أنحن جميعاً بنات آوى حتى نذلّ ونخضع
لقصّاب الماشية هذا ؟ إن النظر فى زعامة العشيرة من شأن العشيرة فقط .
وتعالت صرخات عدة تقول :

— صه ، يا جبرَو البشر . دعه يتكلم ، فقد تبع قانوننا واحترمه ،
وهتف شيوخ في العشيرة قائلين :

— دعوا الذئب الميت يتكلم .

فقد جرت العادة أن الزعيم المخلوع يسمى بالذئب الميت حتى يموت ،
وهو عادة لا يبقى على قيد الحياة غير وقت قصير .
ورفع أكيلا الهرم رأسه في مشقة وصعوبة ، وقال :

— يا شعب الأحرار . وأنتم أيضاً يا شعب بنات آوى ، وأتباع
شيرخان . عشرُ سنوات مضت وأنا أقودكم إلى الصيد ، وأعود بكم منه
ظافرين . لم يقع أحدكم خلال هذه الفترة الطويلة في شرك ، ولم يفقد
قدماً ولا ذراعاً . ولكني الآن أخطأتُ فريستى ، وكلكم يعرف حق
المعرفة كيف دبّرت هذه المكيدة ؛ فلقد دفعتموني بمهارة إلى مهاة قوية ،
لتكشف عن ضعفى ، ومن حققكم أن تقتلونى اليوم فوق هذه الصخرة ،
فمن منكم يرغب فى وضع حد لحياة الذئب الأوحـد ؟ إن دستور الغابة
يحمى عليكم مقاتلتى واحداً إثر واحد .
ونجم صمتٌ عميقٌ ، فما من ذئب جرؤ وحده على مقاتلة أكيلا
حتى الموت .

وزار شيرخان قائلاً :

— لا يهتمكم أمر هذا الأهم الأبله ، فجرو البشر هو الذى يستحق
الاهتمام ، فقد امتدت به الحياة ؛ وما كان ينبغي له أن يعيش . يا شعب
الأحرار ، إن الصبي صيدى منذ البداية ، فسلموه إلى . لقد سئمتُ

سخافةَ هذا الذئب البشرى الذى عكّرَ على العشيرة صفو الغاية عشر سنوات . أعطونى جرو البشر . وإلا بقيت هنا أصطاد دونَ أن أمنحك عظمة واحدة . إنه بشر وابن بشر ولذلك أكرهه أشدّ الكره .

وتعالت الأصوات تقول :

— بشر ! بشر ! ما لنا والبشر ؟ ! فليذهب من حيث أتى .

فصرخ شیرخان احتجاجاً وقال :

— أيعودُ من حيثُ أتى ، ليثيرَ علينا القرويين جميعاً ؟ لا ، لا ،

بل أعطونی إیاه ، فہر بشر ، ولا یستطیع أحدنا أن یواجه نظراتہ .

فرفع أكيلا رأسه ثانية ، وقال :

— لقد شاركنا في الطعام وفي المنام ، وخرج معنا إلى الصيد ، ولم

يُخَالَفُ قَانُونُ الْغَايَةِ مَرَّةً وَاحِدَةً .

وقال يجهرا بصوته الناعم :

— وعندما أتى اشترى حَيَاتَهُ بِشُورٍ . إِنْ قِيَمَةُ الثَّورِ تَافِهَةٌ ، وَلَكِنْ

شرفاً بجھیرا امرٌ عظیم قد یقاتل من أجله .

فزجرت الذئاب قائلة :

— ثور أكلناه من عشرة أعوام ، أتهمنا عظام طال عليها البلي ؟

وأجاب بجهرا وقد كثر عن أنيابه البيضاء :

— أولًا تهكم الوعود ؟ أأنتم شعب الأحرار ؟

والتفّ معظم الذئاب حول شیرخان ، فرقص ذيله طرباً .

فقال یجھرا لموجلی :

— الأمر الآن بين يديك ، فليس في وسعنا أن نفعل غير القتال .

ونهبض موجلي ، وانتصبت قامته ، وما زال وعاء النار بين قلمي ، ثم
رفع ذراعيه ، وتثاءب أمام المجتبعين ، ليظهر عدم اهتمامه ، ولكنه كان
في الواقع ثائراً غاضباً ، إذ لم تكشف له الذئابُ قبل ذلك عن مبلغ
كراهيتها له وحقدما عليه .

وہاتف الصبی قائل :

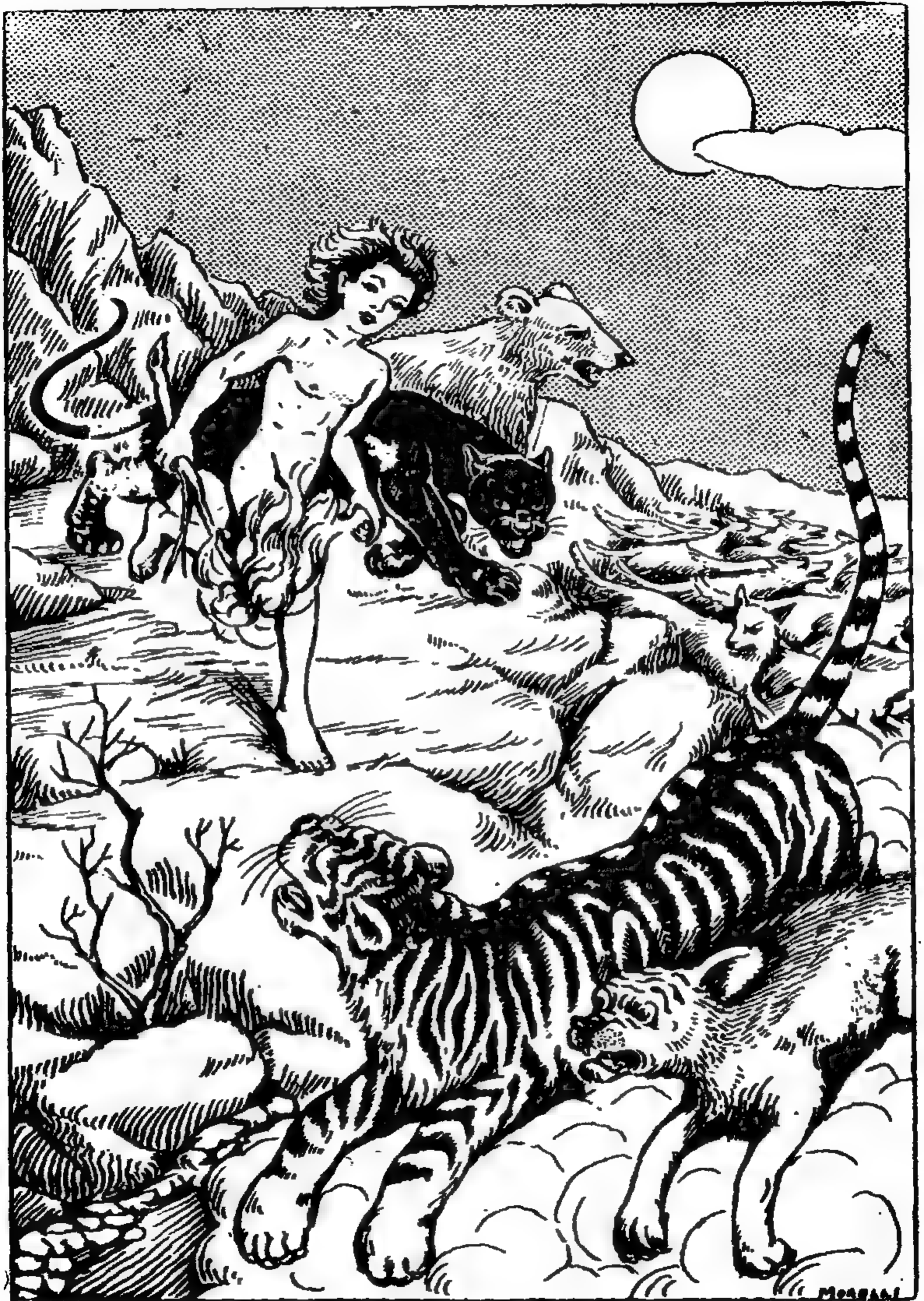
— أصغروا إلىّ ، فلا حاجة لنُباح الكلاب الذي ترددونه . لقد سمعت

منكم كثيراً هذه الليلة ، فقلتم إني بشر ، وإن كنت أفضل أن أظل ذئباً بينكم إلى نهاية العمر . لقد صدقتم ، ولذلك لن أعتبركم إخوتي بعد اليوم ، وسأسميكم كلاباً كما يقول البشر . ليس لكم أن تقرروا ما يجب أن تفعلوا أو ما لا يجب ، فالأمريين يدي أنا ، وقد عازمت على أن أطلعكم على حقيقة الأمر في وضوح ، وأعلمكم أنني — أنا المخلوق البشري — قد أحضرت معي قليلاً من الوردة الحمراء التي تخافونها ، يا معشر الكلاب .

والتي وعاء النار إلى الأرض، فاشتعلت الأعشاب الجافة، وتراجع المجتمعون

رعباً أمام اللهيب المتراقص . ودفع موجلى غصنه الجفاف فى هذا اللهيب .

فتألق طرفه وقرقع ، ثم جعل يطوح به فوق رؤوس الذئاب الحائرة .



هَيَّا ، هَيَّا ، اذهبوا ، وانصرفوا .

وكانت النار تلتهب على الغصن في شدة ، فراح موجلي يلوح بها
يميناً وشمالاً ، فهربت الذئاب وهي تعوي . وعلق شررٌ بشعر بعض الحيوانات
فأججَ ناراً كادت تحرق جلودها . وانصرفوا جميعاً ، وهذا المكان ، ولم
يبقَ غيرُ أكبلا ويجهيرا وعشرةُ ذئابٍ أخرى من أصدقاء الصبي .

وأحسَّ موجلي شيئاً يوجعه في صدره ؛ ولم يكن إحساسه قد أثر كذلك من قبل . وتلاحقت أنفاسه ، وبكى ، فتسارعت الدموع من عينيه وقال :
— ما هذا ؟ لا أريدُ أن أترك الغابة ، ولستُ أفهمُ معنى لما يتساقط من عيني . أنتظن أنني أموتُ يا بجهيرا ؟

فقال النمر :

— لا ، أيها الأخ الصغير . هذه دموعٌ يعرفها البشر . لقد صرت رجلاً ، ولم تعد جرواً منذ الآن ، وقد صارت الغابة مغلقة في وجهك ، فدع الدموع تتساقط ، يا موجلي ، فما هي بأكثر من قطرات ماء تفيض بها العيون .

وأحسّ موجلي أن قلبه يتحطم بين جنبيه ، فجلس وبكى كثيراً !
ولم يكن قد فعل ذلك من قبل .
وقال بعد أن هدأ :

— سأذهب إذاً إلى البشر ، ولكنى أحب أن أودع أمي أولاً .

وقصد إلى الكهف الذي يعيش فيه الأب ذئب وأسرته ، واحتضن
الأم ذئبة ، وبكى كثيراً ، فانتحب إخوته الجراء الأربعة في أسى ، وقال
موجلئ :

— اتنسونی ؟

— كلا ، بل سنذكرك ما دمتنا أحياء ، تعالى أحياناً إلى التل
ولنتحدث معك ، وسنذهب نحن إلى الحقول ، لنلعب معك في الليل .

وقال الأب ذئب :

— عُدْ إلينا سريعاً ، أيها الضفدع الصغير الحكيم . عُدْ سريعاً
ولا تغب عنا ، فأنا وأمثك عجوزان .

وقالت الأم ذئبة :

– نعم ، عُدْ سريعاً ، يا صغيرى العزيز ، لأننى أحبك يا ابنَ
البشر أكثر مما أحب جرائى . .

فأجاب موجلی :

— سَاعود حتماً . سَاعود لأفرش بجلد شیرخان علی صخرة الشوری .

لا تنسوني ، وقولوا لهم في الغاية أن يذكروني ،

وكان الفجر قد بدأ يشرق ، عند ما انصرف موجلى ، وهبط التل
في طريقه إلى هذه المخلوقات الغامضة التي يسمونها بشراً .

وَأَمِنَ الظَّبْيُ مِنَ الطَّوَارِقِ
مَا بَيْنَ ذَكَرَانِ وَمَا بَيْنَ إُنَاثٍ
لَتَرْتَوِي مِنْ مَائِهِ النَّمِيرِ
أَرْقَبُ مَا أَبْصَرَهُ حَيَالِي
بُشْرَى لَكُمْ، فَرَائِسُ دَوَانِي
وَعَادَ بِالصَّيْدِ إِلَى الْوَجَارِ
وَرَدَدَتْهُ صَيْحَةُ الْأَصْدَاءِ
ثُمَّ عَوَى الْوُثَّابُ وَالْدِيَّابُ
أَقْدَامُنَا أَخْفَى مِنَ الْأَوْهَامِ
وَصَوْتُنَا يَجْهَرُ عِنْدَ الْجَهْرِ
وَرَدَدَتْ عَوَاءَهُنَّ الْغَابُ



تعالیم بالو

بقَعَ جسمه يُسَرَّ لها الفهد ، وقرونه يفخر بها الجاموس ،
 كن نظيفاً ، فقوة الصائد في بريق جلده وجماله .
 وإن وجدت الثور ينطح بشدة ،
 أو الوعل ذا الجبهة الكثّة يطعن بشدة ،
 فلا تكفّ عن عمالك لتخيرنا ، فنحن نعرف الأمر من قديم .
 لا تنقّس على جراء الغرباء ، وعاملتهم كإخوة وأخوات ،
 فهما صغروا وضعفوا ، فقد تكون الأمّ في قوة الدبّ .
 يقول الجرو فخوراً بصيده الأول : إني خير الجميع ،
 ولكن الغابة كبيرة "قويّة" ، والجرو صغير ضعيف ،
 فدعوه يفكر كما يحلو له ، على ألا يفعل شيئاً .

• • •

وقعت حوادثُ هذه القصة قبل أن يُطرد موجلي من عشيرة ذئاب

سيوني ، وقبل أن ينتقم لنفسه من البير شيرخان . وكان بالو في ذلك الوقت يعلمه قانون الغاية ؛ ولقد سرّ الدبّ البنيّ العجوز من تلميذه ، ووجده يختلف كل الاختلاف عن بقيّة تلاميذه ، فصغار الذئاب تقنع بتعلم ما يخصّ عشيرتها من قانون الغاية ، وتهرب من أستاذها متى قدرت على ترديد نشيد الصيد الذي يقول :

— أقدامٌ لا تحدث صوتاً، وعيونٌ تری فی الظلام، وأنیابٌ حادَّةٌ بیضاء، وآذان تستطیع من الوبجار أن تسمعَ الرياح: کلها خصائص عشرتنا ما عدا الضبع، وتابا کی بن آوی. وما أشدَّ کراہتنا لهما!

وهذا النشيد يكفي الذئاب ، أما موجلي فإنه من البشر ، ولم يكن ذئباً . فكان عليه أن يكون أعلم من الذئاب . ولذلك اعتاد أن يجلس كل يوم بين يدي أستاذه بالو ، ليلتقى عنه مختلف العلوم والدروس . وكان بجهدا يسير في بعض الأحيان متهادياً في الغابة ؛ ويقبل على التلميذ وأستاذه ، ليرى بنفسه مبلغ تقدم ربيبه . فيسند رأسه إلى جذع شجرة ، ويكرّ في هدوء ، وموجلي يردد درسه على بالو . وكان الصبي يتقن تسلق الأشجار ، ويحسن السباحة والبحري فإن بالو لقنه قانون المياه ، كما لقنه من قبل قانون الغابة . وعلمه كيف يتبينُ الغصن النّخِر من الغصن القوي ، وكيف يتحدث إلى النحل البري بأدب ، إذا ما اقترب من خلية من خلاياها ، وعلم ما يقول « لمانج » الحفاش إذا أزعجه بين الأغصان ،

— إنه — وإن كان صغيراً — عرضةٌ للقتل : وإنما أعلمه هذه الأمور خوفاً عليه من المخاطر . وإني لا أضربه إلا إذا نسي أو أهمل : وإذا ضربته كنتُ به رقيقاً .

وزمجر بچھیرا قاتلا :

— كنت به رفيقاً ؟ ! أتعرف الرفق يا ذا اليد الحديدية ؟ إن رفقك
قد ملأ اليوم وجهه بالكدمات .

— لأن يمتلي وجهه بالكدمات من شخص يحبه مثلي ، خير له من أن يؤذي نفسه بجهله .

ثم استطرد بالو في حماسة :

— إني أعلمه الآن « الكلمات العظمى » للغابة ، وستكفل هذه الكلمات له الحماية بين الطيور ، والزواحف . وبين ذوات الأربع . ما عدا بني جلدته . وفي استطاعته أن يطلب المساعدة من أهل الغابة جميعاً إذا تذكر تلك الكلمات ، ولم ينسهما . ألا يستحق كل هذا تأديباً قليلاً ؟!

— حسنًا إذا . ولكن احذر من أن تقتل جرّو البشر ، فما هو
بجذع شجرة تشحّد عليها مخالبك الحشنة . أخبرني ، ما هي « الكلمات
العظمى » التي تتحدث عنها ، وإن كنت في غير حاجة إليها . فإنني
أمنحُ المساعدة ولا أطلبها !

ومدّ بجھیرا إحدى أرجله ، ونظر بإعجاب إلى مخالفه الزرقاء الداكنة

— نحن من دم واحد ، أنتم وأنا .

— حسنًا ، والآن أعدّ علينا كلمات الطيور .

وأعاد موجلي قوله مع صفير الحداة في نهاية الحملة . وهتف بجهيرا قائلاً :
— وكلمات الثعابين ؟

فكانت الإجابة فحيجًا لا يمكن وصفه . وامتلاً موجلي زهواً وخيلاء لمهارته ، فراح يضرب الأرض بقدميه ، ويصفق إعجاباً بنفسه ، وقفز إلى ظهر بجهيرا ، وجلس على جانب منه ، وهو يركل بعقبه الجسد الأسود ، وجعل يقلب وجهه في أشكال قبيحة ، ليغيظ بالو . فقال
الدب في عطف :

— أهذا جزائي ؟ أقسم أنك تستحق كذمةً صغيرةً جديدةً ،
ولكنك ستذكركني بالخير يوماً ما .

والتفت بالو إلى بجهيرا ، وقص عليه كيف طلب للصبي « الكلمات العظمى » من « هاتي » الفيل ، لأنه الخبير بكل هذه الأسرار ، ثم أخذ يصف له كيف حمل الفيل موجلي ، ودلّاه في الغدير ، ليتعلم لغة الثعابين المائية ، وبذلك صار الصبي في مأمن من حوادث الغابة ، فما من ثعبان أو طير ، أو حيوان يستطيع أن يؤذيه .

وانتفخت أوداج بالو زهواً ، وقال في كبرياء ، وهو يربّت على بطنه الأشعر الكبير :

ونلاحظهم بعنايتنا ، ولكننا لا نعيّرهم التفاتاً ، ولا ننظر إليهم ، حتى عندما يُلْقون فوق رؤوسنا الجوز والقاذورات .

ولم يكد ينتهى من حديثه حتى انهال سيلٌ من الجوز ، وأوراق الأشجار ، والغصون . وتردد فى الجوسُعال القردة وضحكها ، وهى تقفز بين الغصون غاضبةً .

قال بالو :

— تذكر جيداً أن شعبَ القردة محرمٌ على أهل الغابة .

وقال بجهيرا :

— نعم محرم ، ولكن كان من واجب بالو أن يُنذرك .

فقال بالو :

— أنا ، وكيف يكون ذلك ، وما دار بخلدى أبداً أنه سيلعبُ مع

هذه القاذورات ؟

وانهال من الأشجار سيلٌ جديدٌ ، فابتعد الاثنان ، ومعهما موجلى ولقد صدق بالوفيا قاله عن شعب القردة : فهى تسكنُ أعاليَ الأشجار ، ولما كان من النادر أن ترفع الوحوش رؤوسها ، وتنظر إلى أعلى ، فقد تباعد الفريقان ، ولم يعترض أحدهما طريق الآخر . وثارت القردةُ للإهمال الذريع الذى تناله من أهل الغابة ، ولذلك كانت تعذب كل ذئب مريض أو غمر جريحٍ تعثر عليه ، وتُلْقى على سبيل اللهو الأغصانَ والجوز فوقَ

وعوس من تحدثه نفسه بالمرور تحت الأشجار أملا في إظهار مهارتها ،
ورغبة في استرعاء الأنظار إليها ، ثم تصرخ في أصواتٍ قبيحة ، وتدعو أهل
الغابة إلى تسلق الأشجار لقتالها . وتقوم بين القردة معارك حامية الوطيس ،
فيقاتل بعضها بعضاً دون داعٍ للقتال ، وعندما تنتهى المعركة تنصرف
القردة ، وتترك قتلاها على الأرض ، ليراها سائر الحيوانات .

وتحسُّ القردةُ بنقصها ، ولذلك فهي تفكر دائماً في أن يكون لها زعيمٌ يقودها ودستور يسيرها ، كغيرها من سائر الحيوانات ، ولكنها لا تنفذ فكرتها أبداً ، لأن ذاكرتها الضعيفة لا تحتفظ بشيء ، وتنسى في غدها ما كان في يومها . وتعتذر القردة عن نفسها بقولها :

— ما يفكر الباندارلوج فيه الآن ستفكر الغابة فيه بعد .

ويهدى هذا القول خاطرَها .

ولم تكن في نية القردة أن تفعل أكثر من ذلك ، ولكن بدت لواحد منها فكرة "ظنّها ذكية" ، فقال للآخرين إن العشيرة تكسب كثيراً لو احتفظت بالصبي ، فهو يجدل الأغصان بمهارة ، للوقاية من شر الهواء والأمطار ، وباستطاعته أن يعلمهم الكثير من هذه الفنون .

وكان موجلي ابن حطاب ، ولذلك ورث غرائر عدة ، واعتاد أن
يجدل الأغصان الدقيقة ويصنع منها أكواخاً صغيرة . ورأته القردة
من فوق أشجارها ، وراقبته في أثناء عمله ، واعتبرت ما يصنعه أمراً عجيباً

خارقاً ، فعقدت العزم على أن يكون للبندارلوج زعيمٌ كما للعشائر الأخرى ،
فتصير أكثر أهل الغابة حكمةً وعقلاً ، وتلاحظها الحيوانات ، وتغار منها .
ولما استقر رأيهم على ذلك جعلت ترصد للصبي إذ يسيرُ معَ بالو
وبجھيرا ، وسارت وراءهم خفيةً في الغابة إلى أن حان وقت القيلولة ،
ورقد الثلاثة للراحة ، وكان الصبي يحسُّ بعظم خطئه بعد تأنيب الدب
والنمر ، ونجّل من نفسه ، ولما نام بين بالو وبجھيرا كان في عزمه أن
ينفض يديه من شعب القردة وألا يجعل بينه وبينهم اتصالاً .

وكان أول ما أحس به بعد غفوته أن أمسكت بأطرافه أيدٍ صغيرةٌ
جامدةٌ قويةٌ ، رفعت في الهواء ، وتساقطت به الأشجار ؛ وأحس أوراقها
وأغصانها تضرب وجهه . فلما نظر إلى أسفل ، رأى من بين الأغصان
المتراقصة بالو ، وهو يسوق أهل الغابة جميعاً بقبهقاعه ، كما رأى
بجھيرا يقفز نحو جذع الشجرة ، وقد كشّر عن أنيابه ، فضحكت
القردة انتصاراً ، وقفزت إلى أعلى الغصون التي لا يجرؤ بجھيرا على الوصول
إليها . وقالت في سرور :

— لقد لحظنا بجھيرا . إن أهل الغابة يعجبون بمهارتنا ودهائنا .

وأسرعت في الهروب . وهروبُ القردة فوق الأشجار أمرٌ يعجزُ الإنسان
عن وصفه ، فلهم طرقٌ كثيرةٌ معروفةٌ يتنقلون فيها على الغصون إلى أعالي
التلال ، وإلى أسافلها . وترتفع هذه الطرق من خمسين إلى سبعين قدماً

واهتدى إليها رأى ثاقب ، وهو أن يرسل كلمة إلى بالو وبجهيرا ، اللذين تخلفا عن اقتفاء أثره بطبيعة الحال ، لعجزهما عن مجازاة القردة في سرعتها . ولم ينظر إلى أسفل بحثاً عما يمكن أن يحمل رسالته ، فقد كان لا يستطيع أن يرى من هذا الارتفاع العظيم غير الأغصان ، ولذلك رفع أنظاره إلى السماء فرأى في الأفق الأزرق البعيد « ران » الحداة ، وهي تدور وتتأرجح في الهواء ، وتراقب الغابة بعينها الحادة ، أملاً في أن ينفق حيواناً ، فتأكله . وتبينت ران أن القردة تحمل شيئاً ، فهبطت مئات الأمطار ، عسى أن يكون ذلك الشيء يصلح للأكل . وأطلقت صفيها العجيب عندما رأت موجلي يستزع من شجرة إلى أخرى ، وسمعه يناديها قائلاً :

— نحنُ من دمِّ واحدٍ ، أنت وأنا .

وأطبقت الغصون المضطربة على الصبي ، فاختفى عن أنظارها ،
ولكنها أسرعت إلى الشجرة التالية ، لترى وجهه الأسمر يظهر لها ثانيًا ،
وهتفَ بها موجلي قائلًا :

— تتبعى طريقى ، وأخبرى بالو ، وعشيرة سيوفى ، ويجهيرا ، ونادى
بالنبا عند صخرة الشورى .

— باسم مَنْ أَخْبِرُهُمْ ، يَا أَخِي ؟

ولم تكن ران قد رأت الصبي من قبل ، وإن سمعت الكثير عنه
فقال لها :



— لماذا لم تحذروا جرو البشر ؟ أى فائدة جناها من الضربات التى
كنت تهوى بها عليه ؟ ! إنك لم تنذره من قبل هذا البلاء الذى وقع فيه .
فأجاب بالو لاهشًا :

— أسرع ، أسرع ، فما زال في مقدورنا أن نصلى إليهم .

— بهذا البطء؟ إن سرعتهك يا معلم القانون ، ويا ضارب الصغار ،
لن تشعيب بقرة جريحة ! وميل واحد من هذا التلحرج قد يفجر
بطنك ، فاجلس ساكنًا ، ودعنا نفكر . ليس هذا وقت تعقيبهم ، فقد
يسقطونه من بين أيديهم إذا اتبعناهم من قريب .

فقال بالو :

— وَمَنْ يَدْرِينَا ؟ لَعَلَّهُمْ قَدْ أَسْقَطُوهُ بَعْدَ أَنْ تَعَبُوا مِنْ حَمَلِهِ ؟ !
عَاقِبَتِي بِمَا تَشَاءُ : ضَعَّ مِيتَ الْخَفَافِيشِ فَوْقَ رَأْسِي ، أَعْطَانِي عِظَامًا سُودَاءَ
أَكَلَهَا ، وَادْفَعَنِي إِلَى خَلَايَا النَّحْلِ الْبَرَى ، لِيَلْسَعَنَنِي حَتَّى الْمَمَاتِ ،
وَبَعْدَ ذَلِكَ ادْفَنِي مَعَ الضَّبَاعِ ! فَإِنِّي أَتَعَسُ الدَّبِيبَةَ ، وَأَشْقَاهَا . آه
يَا مُوجِلِي ! لِمَاذَا لَمْ أَحْذَرِكَ مِنْ شَعْبِ الْقَرْدَةِ بَدَلِ أَنْ أَحْطِمَ رَأْسَكَ بِلِكْمَاتِي ؟
وَلَعَلَّ ضَرْبِي الْأَخِيرَ قَدْ أَطَارَ الدَّرْسَ مِنْ رَأْسِكَ ، فَتَكُونُ الْآنَ وَحْدَكَ
فِي الْغَابَةِ ، وَقَدْ نَسِيتَ الْكَلِمَاتِ الْعِظْمَى !

ووضع اللبّ كفيه فوق أذنيه ، وتخرج على الأرض ، وهو بين
حزنًا وألمًا ، فتفد صبر بجهدا ، وقال له :

— لقد استطاع منذُ وقت قصير أن يُعيد الكلمات كلها صحيحةً .
أقسم لك يا بالو أنك قليلُ العقل ، خفيفُ القَدْر . ماذا تقول الغابة ،
لو رأيتني أنا — النمر الأسود — أتمدحرجُ وأصرخ هكذا كما يفعل «إيكي»
القنفذ ؟

فأجاب بالو :

— لَا يَهْمُنِي مَا تَقُولُهُ الْغَايَةُ ، فَقَدْ يَكُونُ مُوجِبًا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ .

فقال بجهيرا :

— لا داعي للخوف عليه ، إلا إذا كانوا قد أسقطوه إلى الأرض عمداً
يقصدون العبثَ واللَّهو ، أو لعلمهم قتلوه قطعاً للوقت . إن جرو البشر
ماهرٌ ذكيٌّ ، فضلاً عن نظراته التي تخيفُ أهل الغابة جميعاً ، ولكنه
الآن تحت رحمة الباندارلوج ، وذلك شرٌّ عظيمٌ ، فهم يسكنون أعالي
الأشجار ، ولذلك لا يخافون أحداً من عشيرتنا .

ولعلنا يجهرنا كفيه في تفكير ، فاعتدل بالو ، وهتف في سخرية يقول :

— يالِ من دبٌ ثخين غي لا يصلحُ لشيءٍ . لقد صدق هاتى الفيل

عندما قال: إن لكل مخلوق من يخشاه . والباوندارلوج يخافون « كا »
ثعبان الصخرة ، في مقدوره أن يتسلق الأشجار مثلهم ، ويسرق صغارهم
في الليل ، إن ذيوهم الشريرة لترتعد خوفاً عند ذكر اسمه . يالى من غي
إذ نسيت ذكر الثعبان « كا » . فدعني أذهب إليه

المدبَّب ، ويلوى جسده الذى يبلغُ طوله ثلاثين قدماً فى دوائر عجيبة ،
ويُسنّضُ مفكراً فى عشائه القريب .

وقال بالو عندما رأى المعطف الأصفر الحديد :
— إنه لم يأكل بعدُ ، فاحترس يا بجهيرا ، فهو عادةً ضعيفُ النظر
سريعُ الانقضااض بعد تغيير جلده .

ولم يكن «كا» ثعباناً ساماً ، بل كان يحتقرُ الثعابين السامة ، ويتهمها
بالحُبْن . وكانت قوته تكمنُ فى شدة قبضته ، فإذا التف بجسده الضخم
على أى مخلوق كان موته حتماً مقضياً .

وجلس بالو على عجزه ، وقال للثعبان :
— أرجو لك صيداً موفقاً ، يا صديق .

وكان «كا» ضعيفَ السمع كسائر أبناء فصيلته ، ولذلك لم يتبين
التحية فى بادئ الأمر ، فالتف حول نفسه . وخفض رأسه ، ونهَضَ
استعداداً للطوارئ ! وقال فى حذر :

— صيدٌ موفقٌ لنا جميعاً . آه ، هذا أنت يا بالو ، ماذا تفعل
هنا ؟ صيدٌ موفقٌ ، يا بجهيرا . واحدٌ منا على الأقل جوعانٌ . أتعرفان
مكان صيد قريب ، مكان وعلٍ صغيرٍ أو ظبيٍ ؟ إننى جائعٌ ، وأمعائى
فارغةٌ مثل بئر جافة .

ولم يشأ بالو أن يتعجل «كا» ، فقد كان يعرف مدى قوته ، وقدر

خطورته ، فأجاب وهو يتظاهر بعدم الاهتمام :

— جئنا للصيد .

فقال : كاه :

— فلاصحبكما إذا إذا سمحنا ، فضربة صائبة ، أو أخرى خائبة لا تهتم بالو ويجهرا ! أما أنا فعلى أن أنتظر في عمرات الغابة أياماً عدة ، وأتسلق الأشجار نصف ليلة على الأقل . بحثاً وراء قرد صغير أقتنصه . والأغصان الآن صغيرة أو نخرة ، ولم تعد قوية كما عهدتها أيام كنت صغيراً .

وأجاب بالو :

— قد يكون لشمالك العظيم أثرٌ في ذلك .

فَقَالَ « كَا » فِي تَبِيهِ مَلْحُوظ :

— إن طول معقول ، ولكنها غلطةُ الغصون الصغيرة الجديدة التي
نمت فوق الأشجار . لقد كدت أسقطُ في صيدى الأخير ، وكنت لم
ألفَ ذيلي جيداً حولَ الشجرة ، فأيقظ صوت تدحرجى شعب القردة ،
فانها لوا على بأقبح الشتائم .

وتمم بجھیرا کاٹھہ یردد حدیثاً سبق لہ اُن سمعہ :

— « دودة الأرض الصفراء الزاحفة ! »

وَفُتِحَ الثَّعْبَانِ عِنْدَ ذَلِكَ قَائِلًا :

— أسمعتمهم يقولون ذلك عني ؟

— سمعتهم يقولون شيئاً من هذا القبيل، ولكننا لم نعرهم التفاتاً .
وامستطرد في صوت ناعم :

— إنهم يقولون كثيراً ، وأنت تعرف أن البانداراوج لا يستحقون ،
ويذهبون في قوالم إلى أنك فقدت أسنانك ، ولم يعد في مقدورك أن تصيد
شيئاً أكبر من جندى رضيع ، لأنك تخاف قرون الماعز الكبير .

ومن النادر أن تظهر الأفاعي ، ولا سيما ثعبان الصخرة ، غضبها ؛
ولكن بالو ويجهيرا استطاعا أن يريا عضلات فكّي "كا" ، وهي تضطرب
وتتفخ عند ذلك في غضب .

وقال الثعبان :

— لقد رحلَ شعبُ القردة من هذا المكان ، وعندما خرجت اليوم
إلى الشمس سمعت صياحهم بين الأشجار .

فأجاب بالو :

— ونحن الآن في أثر البانداراوج .

واحتبست الكلمات في حلقه ، فقد تذكّر أن هذه هي المرة الأولى
التي يسعى فيها أحدٌ من أهل الغابة بأعمال القردة ، وحركاتها .

وتعجب کا ، ، فقال فی أدب .

— اِذْنًا فَاَلَا مَرْجَدٌ خَطِيرٌ حَتَّى اِنَّهُ دَفَعَ زَعِيمَيْنِ كَبِيرَيْنِ ، وَصَائِدَيْنِ

قادرین إلى تتبع آثار الباندارلوج .

فأجاب بالو :

— أبداً ، فلستُ أكثر من مدرس أبله عجزه يعلم القانون لجراء
ذئاب سيوفى ، أما بجھيرا ...

ولم يكن النمر يؤمن بالتواضع ، فضمَّ فكيه فجأة ، وقاطع بالو ،
وأتمَّ جملته قائلا :

— نعم ، أما بجھيرا فهو بجھيرا . المشكلة يا « كاه » هي أن لصوص
الجسور ، ولاقطى أوراق النخيل ، قد سرقوا منا جسورَ البشر ، وأظنك
سمعت به .

فأجاب : کا :

— سمعت بعض الحديث من إبيك ذلك الذي تملؤه أشواكه فخراً
وتيهماً ، فقد حدثني عن بشر يعيش مع عشرة الذئاب ، ولكني لم أصدقها ،
لأن إبيك يروي قصصاً لا يعرف حقيقتها ، وهو ينقلها مشوهة .

فأجاب بالو :

– ولكن هذا الحديث حقيقة ، وهو خير جرو بشرى فى الحياة ،
بل أفضل وأشجعُ بنى البشر . هو تلميذى ، وسيرفع اسمى عالياً فى
الغابة ، فضلا عن أنى أحبه ، يا وكا .

وَفَتَحَ الثَّعْبَانِ عِنْدَ ذَلِكَ وَحَرَكَ رَأْسَهُ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَى أُخْرَى ، وَقَالَ :

— لقد عرفت الحب أيضاً ، ولدى من القصص ما أستطيع أن أسرده عليكما :

فقال بجهرا على البديهة :

— ولكن قصصاً كهذه تحتاج إلى ليلة صافية نكون فيها شباعاً ، فتمكن من الإنصات إليك ، والثناء عليك كما يجب : أما الآن ، فجرو البشر تحت رحمة الباندارلوج ، ونحن نعرف أنهم لا يخافون أحداً من أهل الغابة غير « كا » .

فأجاب الثعبان :

— صحيح أنهم لا يخافون غيري ، ولم كل العذر . والقردة أغبياء كثيرو الثروة مغرورون ، ومع ذلك فما وجود البشر بين أيديهم بالأمر المأمون ! فهم يلتقطون الجوزة . ويسأمونها ، فيلقون بها إلى الأرض . ويحملون غصناً نصف يوم ، قاصدين أن يعملوا شيئاً معيناً ، ثم يحطمونه نصفين . هذا البشر ليس في موقف يحسد عليه ، ولقد قالوا إنني سمكة صفراء ، أليس كذلك ؟

فقال بجهرا :

— بل قالوا : « دودة » يقصدون الدودة ، الدودة الأرضية ، فضلاً عن أمور أخرى أخجل من ذكرها أمامك .

فقال « كا » في غيظ شديد :

— إذا يجب أن نعلمهم كيف يتحدثون عن سادتهم . يجب أن
نساعد ذاكرتهم القليلة الحاضرة . خبرائى ، أين ذهبوا بالجرو ؟
قال بالو :

— ذلك فى علم الغاية . وطننا أنك تعرف مكانهم ، يا « كا » ،
— أنا ؟ كيف ؟ كل ما فى الأمر أننى أقتنصهم عندما يعترضون
طريقى . ولكنى لا أسعى وراء الباندارلوج ، فما أنا بصائد الضفادع ، ولا
لاقط العفن الذى يطفو فوق المستنقعات !

وتردد صوت يقول :

— إلى أعلى ، إلى أعلى . هيا ، انظر إلى أعلى . يا معلم ذئاب سيوفى .
ورفع بالو رأسه بحثاً عن مصدر الصوت فرأى رانَ الحداة ، وهى تنحدر
فى الجول لتقرب منهم ، وقد لمع جناحها المرتفعان تحت أشعة الشمس .
وكان المساء يقترب سريعاً : وأزِف موعد نوم ران ، ومع ذلك ظلت
تحلق فوق الغابة بحثاً عن الدب . وعاقبتها الأغصان المتشابكة ، ولكنها
ما زالت تبحث حتى اهتدت إليه .

وسألها بالو :

— ماذا تريدین ؟

فأجابت :

— رأيت موجلى مع شعب القردة فى غُصون الأشجار ، وطلب منى

أن أخبرك عن مكانه ، فتبعتهم ، وظللت أراقب مسيرهم ، حتى وصلوا به إلى العرين البارد « مدينة القردة » وراء النهر . إنهم هناك الآن ، ولا يعرف أحدٌ إلى متى يبقون بمدينتهم ، فقد يلزمونها عشرة أيام وقد يرحلون عنها بعد ساعة ، ولذلك كلفتُ الحفافيش مراقبتهم ، وعدت سريعاً لأخبرك . هذه رسالته أبلغتكها ، فوداعاً وصيداً موفقاً .

هتف بجھیرا :

— فليَنعمْ فُوكِ بطعام كثير ، وعيناك بنوم عميق . سأذكرك ،
يا خير الحدا . في صيدى القدام ، سأضع رأس فريستى جانباً لتَهتئ
بها وحدا !

— لم أفعَلْ ما يستحقُّ الشكرَ ، بل لم أفعَلْ ما يستحقُّ الذكرَ ؛ لقد كان الصبيَّ يعرفُ الكلمات العظمى ، ، فحقُّ عليَّ أن أساعده . .

وقلت ران عائدة إلى عشا .

وانتفخت أوداج بالو زهواً ، وقال :

— لم ينس استعمال لغة الحدأ . أليس عجباً حقاً أن يذكر صغير

مثله الكلمات العظمى للطيور ، والقردة طائرة به بين الأشجار ؟ !

وَأَجَابَ بِحَبْرٍ :

— لَأَنْتَ كُنْتَ فِي تَلْقِينِهِ شَدِيداً ، وَأَنَا مَا زِلْتُ بِنَجَابَتِهِ فَخُوراً ،

وعليّنا أن نذهب على جناح السرعة إلى مدينة القردة :

وكان كلهم يعرف أين تقع هذه المدينة ، وإن لم يذهب إليها من أهل الغابة غير القليل ، فهذا المكان أو « العرين البارد » كما يسمونه مدينة قديمة ، هجرها سكانها من زمن طويل ، فتداعت أبنيتها ، وطغت عليها الغابة ، وظلت خالية ، فمن النادر أن تأوى إليها الوحوش ، وخصوصاً الفصائل القنّاصة منها ، فالوحوش لا ترتاح إلى مكان سبق أن طرده الإنسان ، وحات القردة بالمدينة المهجورة ، وطال عيشها بها على غير عاداتها في الأماكن الأخرى ، فرغب أهل الغابة عنها ، وأغفلوا أمرها ، وكانت الحيوانات لا تقرب منها إلا في وقت الجفاف ، لترتوى من المياه المتجمعة في خزاناتها ومستودعاتها .

قال مجہد :

— ستقتضى الرحلةُ مسيرة نصف ليلة إذا أسرعنا الحُطى وبذلنا كل ما فى وسعنا .

وتبدى الحمد فى عينى بالو ، وأجاب فى قلبي :

— سأسرع قدر امکانی .

فَقَالَ النَّمِرُ :

— ونحن لا نستطيع انتظارك ، فاتبعنا يا بالو ، فعلينا أنا ووكا ،

أن نسير حثيثاً .

فَقَالَ « كَا » :

أما القردة فقد كانت في المدينة المهجورة لا تذكر أصدقاء موجلي ،
ولا تفكر في إمكان حضورهم من أجله ؛ وقد تملكها الزهو ، لأنها تمكنت
من حمل الصبي إلى تلك المدينة الخربة ، فأعجبت بعملها وألهاها ذلك
عن التفكير في شيءٍ سواه . ولم يكن موجلي قد رأى ذلك المكان من
قبل ، وبدت له المدينة الهندية جميلة رائعة على الرغم من دمارها
وخرابها .

وكان أحد ملوك الهند قد شيد هذه المدينة منذ أقدم العصور . وأقامها فوق تل صغير ؛ ثم هجرها سكانها ، فظلت خاوية على عروشها طيلة هذه الأعوام . وعلى الرغم من كثرة الأعوام وممر السنين كان من السهل تتبع طرقاتها المعبد التي تؤدي إلى أبواب ضخمة لم يبق منها غير حطام عالق بمفاصل حديدية يغطيها الصدا . ونمت الأشجار الكبيرة داخل الأسوار ، وخارجها ؛ وتداعت أطامها ، وتآكلت جدرانها ؛ وتدلّت النباتات البرية الزاحفة من نوافذ القلاع ، وانحدرت فوق الجبال في حزم كبيرة .

وكان في أعلى المدينة قصرٌ لا سقف له ، فناؤه ونافوراته من المرمر
الذى تحطم ، وتلطّخ بمختلف الألوان ما بين أحمر وأخضر . ورثت
الأوتادُ الحجرية الضخمةُ التي كانت تقيّدُ بها فيلّةُ الملك ، وتفتّتت
وانزاحتُ من مكانها منذ نمت الشجيراتُ والأعشابُ بينها .

وكان الإنسان يستطيع أن يرى المدينة القديمة من شرفة ذلك القصر،

إلى المستودعات ، فتعكّر مياهها ، وتعلّوها بالأقذار ، ولا تلبث أن تتعارك من أجل ذلك ، ثم تجرى في جماعات وهي تصرخ قائلة :

— ليس في الغابة أعقلُ ، ولا أمهرُ . ولا أقوى ، ولا أرق ، ولا
أجملُ من الباندارلوج !!

وتكرّر هذه الحركات والأفعال إلى أن يتملكها السأم ، وتمل المدينة فتتركها . وتعود إلى أشجارها أملا في أن تتجه إليها أنظار أهل الغابة .

ولم يكن موجلي ليرضى بمثل هذه الحياة ، أو يفهم لها معنى ، فقد تعلم قانون الأدغال ، وتمرن على تطبيقه ، فما كانت نفسه لتستسيغ تلك الفوضى الدائمة .

• • •

وكان قد مضى شطرٌ من الليل عندما وصلت القردة بموجلي تجره جراً إلى المدينة الموحشة ؛ ولكنها لم تتم كما يفعلُ هو بعد مثل تلك الرحلة الطويلة ، بل أمسك بعضها بأيدي بعض ، وجعلت ترقص ، وترددُ أغاني سخيفة . وألقى أحد القردة خطبة بين زملائه ، قال : إن اختطاف الصبي يبدأ عهداً جديداً في تاريخ الباندارلوج ، إذ في استطاعته أن يعلمهم جدل العصي والأغصان ، لتحتوى بها من الأمطار والصقيع . والتقط موجلي بعض أغصان النباتات الزاحفة ، وبدأ يجلها ، وحاولت القردة أن

تقلده ، غير أنها سئمت العمل بعد قليل ، وانصرفت إلى تجاذب الذبول ، وتلاجق القفزات والضحك .

قال موجلی :

— أريد أن آكل . وأنا غريبٌ في هذه الناحية من الغابة ، أعطوني طعاماً ، أو اسمحولي بالصيد هنا .

وأُسرع عشرون أو ثلاثون قرناً فذهبت لتحضر له شيئاً من الخبز ، أو
البابا والبري ، ولكنها بعد أن حصلت عليه تعاركت في الطريق ، فقُفِد
معظمه ، ولم تجد فيما تبقى ما يستحق الحمل ، فتركته على الأرض ،
وعادت إلى الصبي بغير طعام . وكان موجلي فوق جوعه غاضباً متألماً جريحاً ،
فجعل يحوب أنحاء المدينة الحربية ، ويطلق بين آن وآخر نداءً صيد
الغرباء ولما لم يجبه صوتٌ عرف أنه قد نُزِح به إلى مكانٍ سحيقٍ !
فقال لنفسه :

• — لقد صدق بالوفى كل ما قاله عن البانداراوج ، فليس لهم قانون •

ولا زعيم ، ولا يعرفون نداء للصيد اللهم إلا حديثاً سخيفاً ، وأيادى متلصصة صغيرة ؛ ولو قتلت هنا ، أو مت جوعاً ، لا حمل وزر ذلك غيرى . فعلى أن أحاول العودة إلى غابتي ، وسيضربنى بالوحما ، وإن ضرباته لأفضل عندى من هذه الحياة الجنونية الشقية مع الباندارلوج .

وتقدم نحو أسوار المدينة عليه يحدُ منفذاً للخروج ، فلحقته به

القردة ، وجذبتة بعيداً عنها ، وأعادته إلى مكانه الأول ، وأذنته على تفكيره في الهروب . وقالت إنه لا يقدرُ قيمةَ السعادة التي يعيش فيها ، وانهاالت عليه قَرَصاً ليعترف بالجميل !!

وتملك الغضب موجلي ، ولكنه لم يقل شيئاً ، وعضّ على أسنانه ؛ وسارت القردة الضاحكة إلى شرقة عالية فوق مستودعات بُنيت من الأحجار الرملية الحمراء ، وكانت ممتلئة إلى منتصفها بالمياه . وكان في الشرفة جوسقٌ خربٌ من المرمر ، صنع من قبلُ للملكات ، وقد تداعى على مرّ الزّمن سقفه المقبَّبُ ، وتساقطت أحجاره ، فسدت النفق الذي كانت الملكات تمرّ منه إلى القصر . وكانت الجدران من مرمر جميل في بياض اللبن ، زُيّنت بنقوش دقيقة . ورُصّعت بالعقيق ، واليشب ، واللازورد ، وغيرها من الأحجار الكريمة . وعندما أشرق القمرُ ، وتضاءل في السماء ، وبرز قرصه من التلّ ، تساقط شعاعه الفضيّ على هذه الجدران المكشوفة الرائعة ، فانعكس ظلها ، وامتدت على الأرض كأنه محملٌ أسود مطرّزٌ .

كان موجلي تعباً جائعاً ناعساً ، ومع ذلك لم يقوَ على كبست الضحك
عندما تجمعت القردة أمامه ، وتحدثت إليه ، كل عشرين منها في نفس
واحد ، وجعلت تصف له عظمتها ، وحكمتها ، وقوتها ، وقدرتها . وأنبته
على الطيش الذي يدفعه إلى التفكير في هجرها . وظلت القردة تصرخُ قائلة :

– نحنُ عظماء ، نحنُ أحرارٌ ، نحنُ شعبٌ رائعٌ يفضلُ أهلُ
الغابة جميعاً . كلنا يقول ذلك ، فلا بدّ إذاً أنه حق . ولأنك حديث
العهد بيننا سنسمعك أنباء عظمتنا وتفوقنا ، لننقله إلى أهل الغابة ،
فيحترمونا في المستقبل . ويلحظونا بعين العناية والاهتمام .

ولم يعارض موجلي ، فاجتمعت القردة مئات فوق الشرفة ، وأخذ الخطباء منهم يتغنّون بمدح الباندارلوج ! وكلما وقف خطيبٌ ليستريح قليلا ، ارتفعت صرخات المستمعين تقول :

— صدقتَ فيما قلتَ ، وكلنا يقولُ ذلك ! !

وجلس موجلي صامتًا ، وأطرق ، ولم يُسْجِبْ عن أسئلة القردة بغير كلمة « نعم » وكان لا يكاد ينطق بهذه الكلمة حتى تتصدعَ رأسه بالضَّجيج مرة أخرى ، فيقول لنفسه :

— لقد عقروهم تابا كي جميعاً ، فأصابهم الجنون ، فما هذا الذي أراه من هؤلاء إلا مرض الديوانى . ألا ينام هذا الشعب أبداً ؟ ثم التفت فجأة وقال : « أرى سحابة قادمة ، ستحجب القمر ، فيا ليتها كانت كبيرة لعلى أستطيع الهرب فى الظلام » . ثم سكت لحظة وقال : « ولكنى تعب لا أقوى على المسير ! » وكان النمر يجھيرا وثعبان الصخرة « كا » فى تلك اللحظة قد بلغا أسوار المدينة وجلسا فى حفيرة مهدمة يراقبان هذه السحابة نفسها ، فلقد كانا يعرفان حقاً خطورة القردة إذا اجتمعت معاً ، ولذلك

أمسكا عن المخاطرة ؛ فالقردة لا تقاتل عادة إلا إذا كان عددها عظيماً
يزيد أضعافاً على عدد عدوها . ولا يستطيع مثل هذا القتال ، ويقبله
إلا قليل من أهل الغابة .

وقال : كا ، هامبسا :

— سأُتجه إلى الجدار الغربى ، وأهبطُ منه فى سكون ، وسيساعدنى انحدارُ الأرض هناك على ذلك . فعلى أجدهم هناك مفرقين فلا يقفرون فوق ظهري مئات ، ولكن

فقطاطم بجهيرا قائلا :

— وددتُ لو كان بالو معنا ، ولكننا لا نستطيع انتظاره ، وعلينا أن نعتد على أنفسنا ، ونبذل قصارى جهدنا فإذا ما حجبت هذه السحابة القمر تسالتُ أنا إلى الشرفة من هذه الناحية ، فإني أراهم يعقدون مجلساً حول الصبي .

فأجاب : « كا ، في جد » :

— لیکن التوفیق نصیبك .

وابتعد الشعبان نحو الجدار الغربي ، وكان هذا الجدارُ أقل أسوار
المدينة تهديماً ، فجاهد في الصعود عليه ، ومر عليه حينٌ قبل أن يستطيعَ
أن يخرج من بين الصخور .

وأقبلت السحابة ، وحجبت القمر ، فانتشر الظلام ؛ وبينما كان

موجلى يسائل نفسه عما قد يحدثُ بعد ذلك ، إذ سمع خطوات بجھيرا ، وهو يقطع الشرفة في خفّة ، بعد أن هبط من المتحدر مسرعاً ، خفيف الحركة . لا يسمع لسيره صوتٌ .

وكانت القردة تجلس حول موجدلى فى دوائر كبيرة، يبلغ عدد كل منها خمسين أو ستين قرداً ، فاندفع النمر بينها ، وراح يضرب بكفيه يميناً وشمالاً ، حتى لا يضيع الوقت فى النهش والعض . وتعالى صرخات الرعب والغضب ، وتساقت الأجساد متدحرجة تحت أقدام بجهيرا ، فهتف أحد القردة قائلاً :

— إنه واحدٌ فقط ، ونحن كثيرون ، فاقتلوه سريعاً .

وأطبقت على بجھيرا جمھرة من القردة الغاضبة ، وانھالت علیہ نھشاً وتمزيقاً وخذشاً ، وأمسك خمسةٌ منها بموجلي ، وجذبتہ إلى الجوسق ، ودفعته إلى داخله من ثقبٍ بأعلى القبة ؛ ولم يكن للجوسق منفذٌ سواه ! ولو كان موجلي صبيّاً نشأ بين البشر ، وترعرع معهم ، لآذاه السقوطُ من ارتفاع خمس عشرة قدماً ، ولكنه قفز كما علمه بالو ، فوصل إلى الأرض سالماً .

وصرخت القردة قائلة له :

— امكث في مكانك ، ولا تتحرك منه ، حتى نقتل أصدقاءك ،
ونعود إليك ؛ وسنلعبُ معك بعدُ ، هذا إذا تركك « شعب السموم » حيًّا .

وكان الجوسقُ مثل غيره من الأماكن الحربية في الهند مليئًا بحيات

الكوبرا ، فأسرع موجلى وأطلق نداء الأفاعى قائلا :

— لنكن من دم واحد ، أنتم وأنا !

وسمع من بين كومات التسمامة فحيحاً . فردد النداء مرة أخرى على

سبيل التأكيد ، فأجابت أفاعى الجوسق :

— اخفضوا الرؤوس ، قف مكانك ولا تتحرك أيها الأخ الصغير ،

حتى لا تؤذينا بسيرك .

ولبى موجلى هذا الرجاء ، وطفق ينظر خلال شقوق الجوسق المخطم ،

ويُصغى إلى أصوات القتال الصاخبة . وتعالى الصرخات ،

والشهقات . وسمع سعال النمر الأسود ، وهو يتراجع ، ليثب مرة ثانية ،

ويقتحم حشود أعدائه ؛ فلقد كانت تلك أول مرة يقاتل فيها بجهيرا من

أجل حياته !

وفكر موجلى قليلا ، وقال :

— لا بد أن يكون بالو قريبا ، فإن بجهيرا لا يأتى وحده .

وصرخ الصبى عالياً يقول للنمر :

— إلى مستودع الماء ، يا بجهيرا . أسرع ، وولّ وجهك شطره ،

واقفز إلى المياه .

وسمع بجهيرا النداء ، وعرف أن موجلى ما زال على قيد الحياة ، فدبت

الشجاعة فى جسده . وقاتل مستميتاً ، ليشق طريقه إلى المستودعات ؛

وانهال على أعدائه ضرباً في قوة وصمت . ثم ارتفع صوت من الجدار
المواجه للدغتل وكان ذلك صوت بالو ، وهو يطلقُ نداءه الصاخب
للقتال . فلقد أسرع الدبّ العجوز جهده ، ولم يتمكن من الوصول
قبل ذلك .

وصرخ بالو قائلا :

— إني هنا ، يا بجهيرا . إني أتسلقُ ، إني أسرع . الصخور تنزلق تحت أقدامى . ها أنا ذا آتٍ إليكم . يا شعب القردة السافل !
وسار فوق الشرفة لاهثًا ، فلم تمض لحظة حتى أطبقت القردة عليه . واختفى إلى رأسه تحت أمواجها الزاخرة . فتقهقر إلى الخلف قليلا ، وجلس على عَجْزِهِ ومدَّ أماميته ، وراح يختصن بهما ما استطاع من القردة ، وينكل بها شر تنكيل .

أما بجهدا ، فقد عمِلَ بنصيحة موجلي ، وتـدحرج على الأرض ظهراً لبطن حتى وصل إلى المستودع ، وقفز إلى المياه حيث لا يستطيعُ القردة أن تتبعه ، وجلس في وسطها لاهثاً . وتجمعت القردة عند المستودع . جلست على درجات السلم الأحمر في صفوف متوالية ، كل صف منها ثلاثة قردة استعداداً للوثوب على النمر إذا حدثته نفسه بالخروج ، لمساعدة بالو .

وَتَمَلِّكُ الْيَأْسَ بِجَهْدٍ، وَتُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنْ كَأَمْ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ عَدَلَ عَنْ

واستجمع «كا» قوته، وتقدم إلى الأمام مسرعاً، وهو يتقد رغبةً في القتال . وقوة الثعبان الصخرى تكمنُ في الضربات التي يوجهها نحو الفريسة برأسه ، وهي ضرباتٌ ساحقةٌ تزيد صرامةً على قوة الحراب والمنجنيق وعصا الكبش والمطارق الحديدية الثقيلة ، والثعبانُ الصخرى الصغيرُ الذي لا يزيدُ طولهُ على أربع أقدام ، يستطيعُ في سهولة أن يُردى رجلاً ضخماً بضربة واحدة من رأسه، فما ظننا بـ «كا»، وقد بلغ الثلاثين قدماً ، أو ما تزيدُ ! .

وسدد «كا» ضربته الأولى إلى قلب القردة المتجمعة حول بالو ، فأصابت الضربة هدفها ، ولم تعد هناك حاجة إلى المزيد ، فالت القردةُ الأدبار ، ولاذتْ بالفرار ، وصرخت في صوت واحد تقول :

— « کا، !! ! نہ کا، ! فاسرعوں بالہروب !

فقد كانت القردة على مرّ الأجيال تعرفُ الكثير عن «كاه»، أو لصّ الليل الذى يتسلل بين الأغصان ، ويسرق أقوى القردة ، وأعظمها شأنًا . واعتادت الأمهاتُ فى الباندارلوج أن تخيف صغارها ، لتسلك سبيل الأدب ، بقصصٍ مختلفة عن الثعبان الجبار ، الذى يصور جسمه ، ويجعله فى شكل غصنٍ جافٍّ ، أو جذع شجرة محطمة ، فتخدع به أذكي القردة ، ولا تتبين الحقيقة حتى يطبق الغصنُ أو الجذع عليها .

والقردة لا تخافُ من أهل الغابة غيرَ «كا»، فما استطاع واحدٌ منها



فقال «كا» في ضحكة مكبوتة :

— كذا يكون الجدة ، إن لارجل الصغير أصدقاء في كل مكان .
تراجع إلى الورا ، أيها الرُّجِيلُ ، وأنت يا شعب السموم احترس ،
فسأهدمُ الحائط الآن .

ونظره « كما » حوله في إمعان حتى وجد في المرمر المنقوش شقاً يكشف عن نقطة ضعيفة من بناء الجحوش ، فحرك رأسه إلى الأمام والحلف ، ثم لمس به الشق في خفة ، ليقدر المسافة ، ثم رفع رأسه وصدره حتى قام على الأرض بست أقدام من جسمه الطويل ، ثم جمع كل قوته ، وسدد إلى الجزء الضعيف من الجدار ست ضربات برأسه . فتهدم ، وتناثرت الأحجار وامتلاً الجو بسحب من الأتربة . وقفز موجلي إلى الخارج من الفتحة ، وألقى بنفسه على بالو ويجهيرا ، فاحتضن عنقهما بذراعيه .

وقال بجھیرا ، وهو محتضنه فی رقة :

— أَجُرَحْتَ أَيُّهَا الْإِخُ الصَّغِيرُ ؟

فقال الصبي :

— لا ، ولكنى متوجعٌ ، جائعٌ ، ويجسدى كثيرٌ من الخدمات .

ورأى الصبي الجراح تغطي جسدَيّ الدب والنمر فصاح مذعوراً :

— آہ ، لقد قسوا علیکما ، یا صبیعی ، فکلا کما یتزف دما .

فأجاب بجهرا ، وهو يلحق شفتيه :

— لئن سألت بعضُ دماثنا لقد غادرنا كثيراً غيرنا في الدماء غرقى .
وأشار إلى القردة الميتة الملقاة في الشرفة حول صهرريج المياه ؛ فقهقهق
بالو في ألم وقال :

— لا تهنأ الجراحُ ما دمت سليمًا ، يا فخر الضفادع .

وقال بجهرا في صوت أجش أزعج الصبي :

— سنحاسبك بعدُ على ما اقترفت ، وعليك الآن يا موجلي أن

تشكر «كا» وفتحاً لتعاليدنا ، فلن ندين بالنصر والحياة إلا له .

ونظر موجلى إلى الشعبان ، فرأى رأسه الضخم . وهو يتأرجح فى الهواء

على ارتفاع قدم منه .

فَقَالَ : كَا :

— أهذا هو الرُّجَيْل ؟ ؟ يا لحسده الناعم الأملس . لا أظنه

يختلف كثيراً في شكله عن الباندارلوج ، فخذ حذرك ، يا رُجيل كلما

وَأَيْتَنِي خَلَعْتُ ثَوْبِي ، لِأَسْتَبْدِلَ بِهِ ثَوْبًا جَدِيدًا ، خَذْ حَذْرَكَ وَإِلَّا أَخْطَأْتُ

معرفة في الغسق وظننتك قرناً .

فأجاب موجلی :

— لنكن من دم واحد ، أنت وأنا . لقد أنقذت حياتي الليلة ، فحق

على أن أذكر الجميل ما نبض الدم في عروقي ! وسأصيد لك منذ الآن

عندما تجوع، يا كا۔

بجهيرا إلى فروه يمسحه وينظفه ؛ على حين تسلل «كا» إلى وسط الشرفة ،
 وضم فكيه في قضة رناته جذبت أنظار القردة إليه .
 قال :

— إن القمر يختفي وراء التلّ ، فهل يبقى ضوء الرؤية ؟
وتردد من فوق الأسوار والحدردان صوتٌ كأنه أنين الريح بين أعالي
الأشجار .

وقالت القردة :

— إنا نراك يا كاهن!

— حسنًا ، فلنبدِ الرقص : رقص «كا» الجائع ، فاجلسوا صامتين ، وانظروا بعيونكم فقط .

والتف حول نفسه في دوائر كبيرة ، وهو يحرك رأسه ذات اليمين ، وذات الشمال ؛ واستدار جسدهُ المرن في حلقات انقلبت إلى مثلثات تبعثها مربعاتٌ وخمساتٌ . وظل يرقصُ هكذا دون أن يصرع ، أو يقف ، أو يكف عن فحيحه الهادئ المكبوت . وتضاءل الضوءُ تدريجاً ، فانتشر الظلامُ ، واختفى بين طياته الجسدُ المتراقصُ ، وساد السكونُ إلا من حفيف حراشيفه ، وهي تلمسُ الأرض .

ووقف بالو ويجهيرا جامدين كالصخر ، وعلتهما رهبة شديدة ،
فقف شعراً عنقيهما وجف ريقهما ! ووقف موجلي ساكناً يرقب المنظر

في عجبٍ ودهشة . وأخيراً ارتفع صوتُ « كا » يقولُ :
 - أَيْسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ ، يا شعبَ القردة ، أن يحركَ قدمًا أو ذراعًا ،
 دون أمرى ؟ أجيئوا !

— دون أمرک لا نستطيعُ الحراك ، یا «کا» .

— حسنًا ، تقدموا جميعًا خطوة إلى الأمام .

وتأرجحت صفوفُ القردة ، وهي تتقدم نحوه في استسلام ، وكذا فعلَ بالو ويجهيرا .

وتردد فحیح 'کا' بقول :

— اقربوا !

فتحرك الكل نحوه خطوة ثانية .

وأحاط موجلي صديقيه بذراعيه ليعدهما ، فتنبه اللب والنمر

للمسته فجأة كأنهما يستيقظان من حلم كريه .

وهمس بجهرا للصبي :

— ابقى ذراعك فوق كَتفي ، ولا اندفعتُ إلى أنياب «كا» !

فأجاب :

— لست أرى فيها عمله غير حركات لا تعي شيئا ، فدعنا نذهب .

وتسلل الثلاثة من خلال فتحة في أسوار المدينة ، وخرجوا إلى الغابة

مسرعين فلما أظلمت لهم الأشجار الساكنة قال بالو :

— أعرف هذا ، وسأجعلُ عقوبته على خطيئته لَكَمَّاتٍ خفيفةً .

ألديك ، يا موجلي ، ما تدافع به عن نفسك ؟

فأجاب الصبي :

— لا . لقد أخطأتُ . فجرحتُ أنت وبالي ، والعدالة تقتضي عقابي .

فأصابه بجهيرا ببضع لكحات لا يعدها النمر عقابًا ، ولا هي توقظُ

جرواً نائمًا من جرائه ، ولكنها كانت قاسيةً على موجلي موجعةً له وهو

صلى ما زال في السابعة من عمره .

فلما انتهى القابُ . عطس موجلي ، وتحامل على نفسه ، ونهض

صامتاً ، فقد كان دستور الغابة ينص على أن العقاب يُنهي الخلاف ،

ويجب ألا ينشَب بعده عراك أو مناقشة .

وقال بجهرا للصبي :

— اقفز فوق ظهري ، أيها الأخ الصغير ، لأحملك وأعود بك إلى

الكهف .

وركب موجلى ظهر النمر ، وأسند رأسه إلى عنقه ، واستسلم لنوم

عميق لم يستيقظ منه طول الطريق ، بل بعد ما وصلوا إلى الكهف .

وعندما رآته الأم ذئبة كذلك أرقده بين جرائها .

• • •

الببر .. الببر !

- « ما أخبارُ الصيد . أيها الثمانصر الشجاع ؟ »
- « ظلتُ ، يا أخى أرقبُ كثيراً فى البرد والظلام ! »
- « وأينَ الطريدة التى عدوت وراءها ؟ »
- « ما زالتُ تسعى ، يا أخى ، سعيدةً فى الأدغال ! »
- « وأين القوة التى تفخر بها ؟ »
- « ذهبتُ من القلب ، وهجرت الذراع ! »
- « وأين السرعة التى تجرى بها ؟ »
- « سأقطعها فى السير إلى الكهف لأموت ! »

• • •

سنعودُ الآن إلى ما حدثَ بعد نهاية القصة الأولى ، فعندما غادر موجلى وجار الأب ذئب بعد عراكه مع العشيرة فوق صخرة الشورى ، ذهب عن الدغل ، وهبط إلى الحقول حيثُ يعيش القرويون . ولكنه أبى أن يقف بذلك المكان ، لقربه من الدغل الذى خلف فيه عدواً خطيراً .

والتزم الطريق الوعر المنحدر إلى الوادي ، وظلَّ يُهَرِّوْلُ إلى الأمام حتى وصل بعد مسيرة عشرين ميلا إلى قرية لا يعرفها .

وكان الوادى يتسعُ هناك إلى سهل كبير تتناثر فوقه الصخورُ ، وتتخلله الأخاديد . وكانت القرية على أحد جانبي السهل ، وعلى الجانب الآخر كانت الأدغالُ تنحدرُ نحو المراعى ، ثم تختفى فجأة عند حافة السهل كما لو أنها قطعتُ بمنجل . وانتشر البقرُ والجاموسُ فوق السهل ليرعى ، ويقتات بما يجده من حشائش .

ورأى الصبية الرعاة مُوجلي . فصرخوا خائفين ، وولوا هارين ، ونبحت
الكلاب الصفراء التي تَموجُ بها كل قرية هندية . ولم يَسْتَنِ الصبي لذلك
الاستقبال ، ولم يقف ، ولم يتردد ، بل تقدم في شجاعة إلى بوابة القرية
مدفوعاً بما يشعرُ به من سغب ، فوجد أن الحواجز التي توضع عليها في
الليل ، قد رُفعت من مكانها وانفجرت البوابةُ على مِصْرَاعَيْهَا . والتوت
شفتاهُ ازدراء ، فلقد سبق أن قابل حواجز مثل هذه ، وتغلب عليها
دون جَهد خلال جولاته الليلية سعياً وراء الطعام ، فقال لنفسه :

— إذا فهنا أيضًا يخاف البشر أهل الغابة !

وجلسَ جوارَ البوابة ، وظلَّ في مكانه ينتظرُ ، وعند ما رأى رجلاً
مقبلاً نهض ، وتقدمَ منه ، وأشار إلى فيه طلباً للطعام ، فتأملَه الرجلُ
قليلاً ، ثم عادَ جريئاً إلى القرية ، وهو يصرخ بالكاهن ، ويُناديه .

وأقبل الكاهنُ على عجل ، وكان رجلاً ضخماً الجسم يرتدى ملابس بيضاء ، ويزينُ جبهته بخطوط حمراء وصفراء ، ويخرج من البوابة في مائة شخص على الأقل ، ووقفوا جميعاً ينظرون ويشيرون إلى الصبي في عجب . فقال موحلي في نفسه :

—البشرُ شعبٌ لا حظَّ له من الأخلاق ، فالقردةُ الرمادية هي التي
تحمِلُ وتُشيرُ هكذا !

وأزاح شعره إلى الخلف ، ورفع وجههُ يشخص بصرهُ إلى الجمهور الخائف الدهش .

فقال الكاهنُ للقوم :

— أى شىء تخافون ؟ ألا ترون عقرات الذئاب على كتفيه وقدميه ؟
إنه طفلٌ ذئبٌ هرب من الغابة !

فكثيراً ما كانت جراء الأم ذئبة تقسو على موجلي في لعبها ، فتنهشه بأنيابها ، فخلف ذلك ندوباً وجروحاً على كتفيه وقدميه ، ولم يكن الصبي يعدُّ مثل هذه الخدوش عضيضاً ، لأنه كان يعرف ما هو العض الحقيقي .

وهتفت بعض النساء قائلات :

— من المحزن أن تعصّ الذئاب هذا الطفل المسكين . إنه صبي جميل ، ولكنّ عينيه في حمرة الجمر !
واستطردت إحداهنّ :

— نعم ، ما عدا الذئاب التي حرقتهما بالوردة الحمراء ؛ أما شيرخان فقد رحل عنا ، ليقم في منطقة أخرى حتى يبرأ من حروقه ، وينمو شعره من جديد . ولقد أقسم أن ينلتى عظامك في الوانجونجا عندما يعود .

— سوف نرى ، فلقد أخذتُ على نفسي ، أنا أيضًا ، عهداً صغيراً ،
وأقسمتُ أنْ أقتله قبل أن يقتلني ، ولكن الأخبار الجديدة مفيدةٌ على
كلِّ حال ، فأنتى بها دائماً ، واتركنى الآن ، أيها الأخ ، فأنا تعيبُ
لما جددتُ على من أمور .

فأجاب الأخُ جرای قلقًا :

— ولكنك ستذكر دائماً أنك ذئبٌ ، ولن تدع البشر ينسونك هذه

الحقيقة ؟ !

فأجاب :

— لا ، لن أنسى ، وسأذكر دائماً أنني أحبك ، ولكني سأذكرُ

أَيْضًا أَنْ الذَّنَابَ طَرَدْتَنِي مِنَ الْعَشِيرَةِ !

— وقد يطردك البشر من عشيرتهم أيضاً ، إن البشر بشرٌ أين كانوا ،
وحديثهم كتنقيق الضفادع في المستنقع ، وقد لا تلذ لك الحياة معهم .
وداعاً ، يا أخى الصغير ، وعندما أعود سأنتظرك على حافة المرعى بين
أشجار الغاب .

ومضت أشهر^١ ثلاثة^٢ لم يخرج موجلي خلالها من أسوار القرية ، لانكبايه

على تعلم لغة البشر ، وعاداتهم : فكان عليه أولا أن يستر جسده بثياب
تضايقه ، ويتعامل بنقود لا يفهم لها معنى ، ويتعلم الزراعة التي لا يرى
فائدة فيها .

وكان أطفال القرية يشاكسونه ويغضبونه ، لأنه يخطئ في نطق بعض الكلمات ، ولا يشاركهم في عبثهم ولعبيهم ؛ ولكنه كان يكبت غضبه خضوعاً للدستور الغابة الذي علمه ضبط النفس ، فإن حياة الحيوان وطعامه تقومان على هذه القدرة ، وكان الأطفال يمعنون أحياناً في إثارته ، فيتضاعف غضبه ، ولولا دواعي الشرف التي كانت تمنعه من قتل جراء عارية صغيرة ، لحمل الأطفال بين ذراعيه ، وحطمهم عقاباً على استهانتهم به وقبحتهم .

ولم يكن موجلي يعرف مدى قوته ، فتمدّ كان في الغابة ضعيفاء إذا
قيس بالوحوش ، ولكن أهل القرية قالوا إنه في قوة الثور . ولم يكن
كذلك يفهم الفروق التي توجدها العقائد بين الناس في الهند ، ولذلك
كان يساعد صانع الفخار عندما يسقط حماره في معجنة الطين ،
ويجذب الحيوان من ذيله ، فيخرجه ، ويسهم في إعادة تنظيم الأواني
الفخارية استعداداً لإرسالها إلى سوق « كانهيوارا » .

وصانع الفخار يعدُّ نجسًا منبذاً في بلاد الهند ، وكذلك حماره ،
فأثار سلوكُ انصيِّ اشمئزاز الناس ، وعنفه انكاهنَّ على عمله ، فلم يرتدعْ

الصبي أويرعو ، وهدّد الكاهن بوضعه فوق الحمار إذا عاد إلى تعنيفه ،
وغضب رجل الدين غضباً شديداً ، وذهب إلى ميسيو ، واقترح
عليها أن تبادر ، وتُشغل الصبي بعمل ما ، وأشار بأن تعهد إليه قيادة
الجاموس كل يوم إلى المرعى .

وفرح موجلى بهذا الاقتراح ، وذهب فى المساء إلى المصطبة حيث يجتمع الرجال كل ليلة تحت شجرة التين الكبيرة ، ليستمعوا أحاديث شيخ القرية ، وحارسها ، وحلاقها ، ويستمتعوا بأقاصيص قانصهم المشهور «بالديو» العجوز ذى البندقية الكبيرة . وكانت القردة تجلس فوق أغصان الشجرة ترقبُ المجتمعين ، وتتمم بالحديث مثلهم ، وكانت حية كبيرة تترقد فى جُحر تحت المصطبة ، وكان أهلُ القرية يقدسون هذه الحية ، ويقدمون إليها صحنًا من اللبن كل يوم .

واعتماد الشيوخ والعجائز أن يجتمعوا تحت شجرة التين يدخنون
النارجيلة ، ويتحدثون إلى ساعة متأخرة من الليل ، ويسردون قصصاً
عجيبية عن الأشباح والآلهة والبشر ، ويروى لهم بالديوالكثير من حوادث
الوحوش وعاداتها حتى تكاد عيون الأطفال ، الذين يجلسون خارج
الدائرة ، تقفز رعباً من محاجرهما .

وحديثُ الحيوانات لا يفرغ في القرية ، لأن الأدغال تقعُ على أبوابها ، والقرويون يقاسون منها شتى المخاوف ، فتارة تفسد الغزلان

— أهو طفل الغاية الذى يتحدث ؟ إن كنت شجاعاً ماهراً كما تتظاهر ، فأحضر جلده إلى كانهيوارا ، لأن الحكومة جعلت لمن يقتله مكافأة قدرها مائة روية ، من الخير أن تسكت يا بنى ، ولا تتحدث فى حضرة من يكبرونك سنّاً .

ونہض موجلی لینصرف ، وقال وهو یبتعد :

– لقد قضيت شطراً من الليل أصغى إلى أحاديث بالديو عن الغابة التي تقع على أبواب قريته، فلم يصدق القول إلا نادراً ، فكف ينتظرون منى أن أصدق قصص الأشباح والآلهة والشياطين التي يدعى أنه رآها !!
وانتفخت أوداج بالديو غيظاً وغضباً ، فقال شيخ القرية :

— لقد أزف الوقتُ ، ليخرج هذا الصبيّ للرعى .

وكل قرية هندية تخصص عدداً من الصبية ، ليأخذوا البقر والجواموس
للمرعى في الصباح ، ويعودوا بها مساءً والعجيب أن هذه الماشية القوية
التي قد تدوس رجلاً بأظلافها فتقتله ، تستسلم لهؤلاء الصغار في دعة ،
وتحتل ضربتهم صابرة :

ويجلس الصبية في المرعى إلى جوارها ، ليكونوا في أمان من الوحوش ،
لأنها تخشى قطعان الماشية ، وحتى البير لا يجرؤ على مهاجمة قطع
منها . أما إذا تفرق الصبية ، وابتعدوا سعيًا وراء الزهور أو التقاط صور
الورل (السحالي) هاجمتهم الوحوش واختطفتهم .



وخرج موجلي عند الفجر ، وسار في شوارع القرية ، وهو يعتلي
ظهر « راما » ثور القطيع ، وتبعه الجاموس الرمادي ذو العيون الوحشية
الواسعة ، والقرون الكبيرة المطروحة إلى الوراء .

ولم يتردد موجلى في أن يجعل نفسه رئيساً . ولعب دور الرئيس في الحال . فضرب الجاموس بعضاً طويلة من الغاب المطلى . ووزع أوامره على الصبية . وطلب من أحدهم أن يترك الماشية ترعى وحدها ، وحذر الآخرين من الابتعاد عنها .

والمراعى الهندية كلها صخور ، وطحالب . ومرتفعات ، وأخاديد صغيرة تتفرق بينها الماشية . والجاموس عادةً يلزم الغدران والأماكن المليئة بالوحول ، ليتمرغ في الوحول الدافئة ساعات طويلة . ولذلك قادها موجلى إلى حافة السهل حيث ينحدر نهر وانجونجا من الأدغال . وهبط عن ظهر راما ، وأسرع إلى حرش من الغاب ، فوجد الأخ جراى ينتظره .

فقال الأخُ جرای :

— لقد انتظرتك أياماً عدة ، ولكن لماذا تقومُ برعى الماشية ؟

فأجاب موجلی :

— لأنها أوامرٌ صدرتُ إلىّ ، وسأكون راعيَ القرية فترة من الزمن .

أتحملُ أخباراً عن شيرخان ؟

— لقد عادَ أخيراً ، وانتظرك طويلاً ، ثم انصرف لندرة الصيد هنا ،
لكنه ينوى أن يقتلك .

قال موجلی :

— حسنًا جدًّا . عليك ، ما دام البير بعيداً ، أن تجلس كل يوم على الصخرة ، لأراك وأنا قادمٌ من القرية! فإذا جاءَ فلا تقفْ على الصخرة ، بل انتظرني بجوار الأخدود عندَ شجرة الدهاك ، التي تقوم وسط السهل ، فمن واجبنا أن نحترس حتى لا نلتق بأنفسنا بين أثواب شيرخان .

اختار موجلی مکاناً ظلیلاً ، ورقد لینامَ ! أما الجاموسُ فانتشر
حولہ یرعی .

والرعى في بلاد الهند أكسلُ عمل في الحياة ، فالبقرُ يتحركُ ،
ويجرُشُ طعامه ، ويرقدُ مزَجْراً في غير خوار . أما الحماموسُ فيتجه
صامتاً إلى المستنقعات ، ويخترقُ طريقه بين طبقات وحوها حتى تختفي
أجساده فيها ، ولا يظهرُ على سطحها غير أنوفه الكبيرة ، وعيونه الواسعة
الزرقاء . ويظل في مكانه دون حركة مثل كتل خشبية ! وتكوى الشمس
بحرها الصخور حتى لتكاد النارُ تشعُّ منها .

ويجلسُ الصبيةُ الرعاةُ في هذا السكون ، فلا يسمعون غير صغير
 حداة واحدة ترفرف بجناحيها في أعالي الجو ، فإذا ماتَ أحدهم ، أوتفتتْ
 بقرةٌ ، انحدرت الحداةُ إلى أسفل ، فتراها أخرى على بعد أميال ،

فتلحقُ بها مسرعة : ولا تكاد تمضي لحظاتٌ حتى يمتلئ الجو بأسراب
جائعة منها .

ويقضى الصبيةُ يومهم في خمول : ينامون ثم يستيقظون . ليناموا مرة أخرى . وقد يقطعون الوقت في جدل الأعشاب الجافة ، ويعملون منها سلالا يملأونها بالجراد ! ويتلهَّون بجمع ديكة الكرم ، وتحريشها للقتال . وينظمون عقوداً من البندق الأحمر والأسود ، ويراقبون السحالي وهي تتشمس ، أو الثعابين وهي تنقض على الضفادع بالقرب من المترع ! ويغنون أغاني طويلة ، تنتهى عادة بنغمات مرتجفة عجيبة .

وفي بعض الأحيان يشيد الصبية قصوراً من الطين . يحيطونها بتماثيل
لخيول وبقر ورجال يضعون في أيديهم أعشاباً كأنها عصي قتال .
ويتظاهرون بأنهم ملوك . والتماثيل الصغيرة جنودهم ورعيّتهم . ويمر اليوم
بطيئاً كأنه دهر ، ويأتي المساء أخيراً ، فينادى الصبية ، فيخرج الجاموس
من الوحول اللزجة وأنوفها محمرة لطول بقائها في الشمس ، وتسير إلى السهل
الرمادي في شريط طويل ، وتعود إلى أنوار القرية المتألثة .

وٹابر موجلی علی عملہ ، فكان یقرءُ الجاموس إلى المتصرغ يوماً بعد
یوم ، فیری الأخ جرای یقفُ عند منتصف السهم فوق الصخرة ، فیعلمُ
أن شیرخان لم یعدْ إلى هذه المنطقة بعدْ ، فیرقدُ علی الحشائش ، یحلمُ
بالأيام الحالية فی الغابة ؛ ویُتصتُ فی حذر إلى کل صوت قریب ،

بالقرب من بوابة القرية ، وهو يختفى الآن في الأخدود الكبير الجحاف عند
وانجونجا .

فقال موجلی :

— تَرَى أَتَنَاوَلَ الْيَوْمَ طَعَامَهُ ، أَمْ يَسْعَى جَائِعًا وَرَائِي ؟
وكانت إجابةُ هذا السؤال تعني الموتَ أو الحياةَ لموجلي : فأجاب
الذئبُ :

— بل قتلَ عندَ الفجرِ ختيراً ، وبعدَ أن أكله شربَ ماءً كثيراً .
 فشیرخان — کما تعلمُ — لا یحتملُ الجوعَ ولا یرضاه . ولو کان الجوعُ
 یحققُ له الانتقامَ من أعدائه .

فقال موجلی :

– يا للغباء !! أيعظن هذا الأبله أننى سأنتظره أيضاً حتى ينام بعد أن أكل وشرب ؟ أين يرقد هذا الجرو ؟ لو كنا عشرة هنا لجررناه على الأرض وهو راقد ، والجاموس لن يهاجمه حتى يشم رائحته ، ومن دواعى الأسف أننى لا أعرف لغة الجاموس ! فهل تستطيع أن تأتى من الحلف ، وتدفع هذه الحيوانات حتى تقرب من مكانه ، لنشم رائحته ؟

فأجاب الأخُ جرای :

— ولكنّه سبّحَ بعيداً في وانجوزنجا ، ليحولَ دونَ ذلك .

فأجاب موجلی :

— هذه نصيحةُ تاباکی ، فما کانَ فی استطاعته أن یفکر وحده

في ذلك .

ووقف موجلی ، ووضع أصبعه فی فیه مفکراً ، ثم استطرد :

— أخذودُ وانجونجا الكبيرُ، الذى يتسعُ نحوَ السهلِ على بعدِ نصفِ

ميل من هنا ! يمكنني أن أقودَ السائمةَ في الغابة إلى رأس الأخدود ،

وننحدرُ من هناك إليه ؛ ولكنتا لو فعلنا ذلك لتسللَ هاربًا من طرف

الأخذود الآخر ، فيجبُ إذاً أنْ نسدَّ عليه الطريق . أتستطيعُ ، أيها

الأخ جرای ، أن تشطّر قطع الماشية شطرين ؟

— لا . لا أستطيع أن أفعل ذلك وحدي ، ولذلك أحضرتُ معي

مساعداً ذكياً .

وَجَرَى الذُّبُّ إِلَى حَفِيرَةٍ قَرِيبَةٍ ، فَارْتَفَعَ مِنْهَا رَأْسُ رِمَادِيٍّ كَبِيرٍ

يعرفه موجلي كل المعرفة ، ورددت الغابة عواء شديداً .

فصفتُ موجلی پیدیه طریبا ، و هتف قائللا :

— اکیلا . اکیلا . کنتُ أعرفُ أنک لن تنسانی . أمامنا عملٌ

عظيم" ، فاقسم الماشية قسمين يا أكىلا ، أبق الإناث وصغارها فى ناحية ،

والثيران والعجول في ناحية أخرى .

وَأَسْرَعَ الذِّبَّانَ أَحَدُهُمَا خَلْفَ الْآخَرِ ، وَتَوَغَّلَا بَيْنَ الْقَطِيعِ مَرَاتٍ

يقفز . وأبقِ الإناثَ مع صغارها هناك حتى تنحدرَ إليك من فُوْهَةِ
الأخدودِ العليا .

وتقدمت الثيرانُ سريعاً عندما عوّى خلفها أكبلا ، فلما ابتعدَ
موجلَى وأكبلا والثيرانُ ، وقفَ الأخُ جراًى أمامَ إناث الجاموس ، فلما
رأته حملتْ عليه فى الحال ، وهاجمته غاضبةً ، فجرى أمامها وهى
تجرى من خلفه إلى فتحة الأخدود السفلى ، كما أمره موجلى .

وقال موجلي لأكيلا وهما في الطريق :

— حسنًا فعلنا ، بهجمةً أخرى ونسجلُ بدايةً طيبة . احترس يا أكىلا ، ولا تبالغْ فى العضِّ ، وإلا استدارت الثيرانُ وهاجمتك . أقسمُ أنه عملٌ عظيمٌ ، فهل كان يدورَ بخلدك أنْ تستطيعَ هذه المخلوقات الحركة بمثل هذه السرعة ؟

فأجاب أكيلًا ، وهو يشهقُ بين الأتربة المتناثرة :

— طبعاً ، طالما اصطدمت أيضاً هذه المخلوقات أيام الشباب ماذا تريدني أن أفعل الآن ، أدورُ بها في الغابة ؟

— نعم ، وفي إسراع ، فراما يكادُ يُجَنُّ غضبًا . آه لو كان في استطاعتي أن أتحدث بلغته ، وأخبره بما أريدُ اليومَ منه .

وانحدرت الثيرانُ هذه المرة إلى اليمين ، وجعلتْ تدوس شجيرات الغابة تحتَ أقدامها وتحطمها .

ورفع راحتيه إلى فمه ، واتجه بصوته نحو الأخدود ، وصرخ ينادي
البير ، فتردد الصدى ، وانعكس من صخرة إلى أخرى .

وبعد فترة طويلة جاء الرد في زئير بطيء متناوِم ، ليرملى البطن ،
يستيقظ من نومه فجأة .

قال شیرخان :

— من ینادی ؟

فصرخَ طاووسٌ جميلٌ رُعبًا ، وضربَ الهواءَ يبحاجيه ، وخرجَ
من الأخدود مسرعًا .

فصاح الصبي :

— موجلى يناديك . لقد آن الأوانُ ، يا سارق الأبقار ، لأنْ تعودَ
إلى صخرة الشورى .

والتفتَ إلى الذئب يقول :

هَيَّا إِلَى أَسْفَلَ ، ادْفَعِ الثَّيْرَانَ سَرِيعًا إِلَى أَسْفَلَ يَا أَكِيلا ، إِلَى
الْبِيرِ يَا رَامَا .

واندفع إلى الأخدود جمع « كبير » من القرون السوداء ، والأفواه
المزبدة ، والأعين الغاضبة ، وانحدرت كما تنحدر الصخور الصغيرة
أمام السيول . وكانت الثيران الصغيرة قد انحازت إلى الجانبين ،
فاندفعت إلى الأمام تخترق طريقها بين النباتات المتسلقة .

وفهمت الحيواناتُ ما يريدُه الصبيُّ منها ، أى أنْ تهجم هجومها
الخفيفَ الذى لا يجرؤُ يبرُّ على الوقوف أمامه . وسمع شيرخان صوتَ
أظلافها يتردّد رعداً بين جوانب الأخدود ، فتحامل على نفسه ، ونهض
متعزراً إلى قاع الأخدود ، وتلفت يمنةً ويسرةً عسى أن يجد طريقاً
للهرب ، فقد جعله بطنه الملىء راغباً عن القتال . ولما لم يجد مهرباً
من جدران الوادى القائمة اضطر إلى السير أماماً .

واندفعت الثيرانُ نحوَ الغدير الذي خلفه موجلى وراءه ، ونحارتُ
عاليًا ، فأجابها حوارُ الإناث من طرف الأخدود الآخر . وتبين شيرخان
موقفه الحرج فاستدارَ ثانيةً نحوَ الثيران ، ليهربُ من وحشيَّة الإناث
التي تحمى صغارها ، فوطئته أقدامُ راما ، ومن خلفه سارَ بقية القطيع
فوقَ جسده اللين .

واجتمعَ فريقا السائمة عندَ نهاية الأخدود ، فقفزت الماشية الصغيرة إلى الهواء بفعل الاصطدام المفاجئ ، وانتشر الكل في السهل في غضب وثورة . وهبط موجلى من فوق ظهر راما في الوقت المناسب ، وضربَ بعصاهُ يميناً وشمالاً ؛ وهتفَ قائلاً :

— فرقه‌م بسرعه يا اكيلا ، ولا قاتل بعضهم بعضاً . ادفعم
بعيداً . های ، راما . های . . . های ! اهدعوا الآن ، يا صغاری .
اهدعوا ، فلقد انتهى كل شيء .

وجرى أكبلا والأخ جرای بین الحيوانات جیئةً وذهاباً ، وعضاً عراقیبَ الماشیة لتفریقها ! فالتفت الثیرانُ نحوَ الأخدود لتهاجم البیرَ مرةً أخرى ، غیرَ أن موجلی استطاعَ أن یحولَ راما نحوَ المتمرغ فتبعه الباقون . ولم یکن شیرخان فی حاجة إلى قتال آخر ، لأنه کان میتاً فی مکانه ، وانحدرت جماعةٌ من الحدی فی طریقها إلیه .

فقال موجلی :

— هذه ميتة الكلاب ، يا صديقي !

وفتش عن السكين الذي اعتادَ حمله منذُ أنْ هجرَ الأدغالَ ،
وأخرجه من جرابٍ يعلقه حولَ عنقه ، وقال :

— ما كانَ في استطاعة هذا الجبان أن يقاتلَ . سيبدو جلده جميلاً فوقَ صخرة الشورى ؛ فهيا بنا نعملُ سريعاً .

وما كان صبيّ عاشٍ بينَ البشر ، ليستطيعَ أن يسلخَ وحده جلدَ
بير يبلغُ طولُه عشرَ أقدام ، ولكنَّ موجليَّ كان يعلمُ الكثيرَ من حياته
في الأدغال ، ويعرفُ كيفَ يلتصقُ جلدُ الحيوان بلحمه ، وكيفَ
يتترعُ ذلك الجلدَ . وانقضتْ ساعةٌ ، وموجليٌّ منهكٌ في عمله الشاقِّ ،
يزجرُ ويقطعُ ويسلخُ ! وعلى مقربةٍ منه وقفَ الذئبان يلهثان ، ويعاونانه
عندما يأمرهما بذلك .

وَأَحْسَـمُ مَوْجَلِي بِيَدِ تَمَسِّ كَتِفِهِ ، وَرَأَى يَجَانِبَهُ بِالْأَيْدِي يُحْمَلُ 'بِنَدَقِيَّتِهِ'

الكبيرة ! فلقد أخبره الصبيةُ بتمرد الماشية ، فأقبلَ غاضباً ، لتأديب الصبيّ على إهماله . وانسحب الذئبان في مهارة وسرعة عندما أقبلَ الرجلُ .

قال بالديو غاضباً :

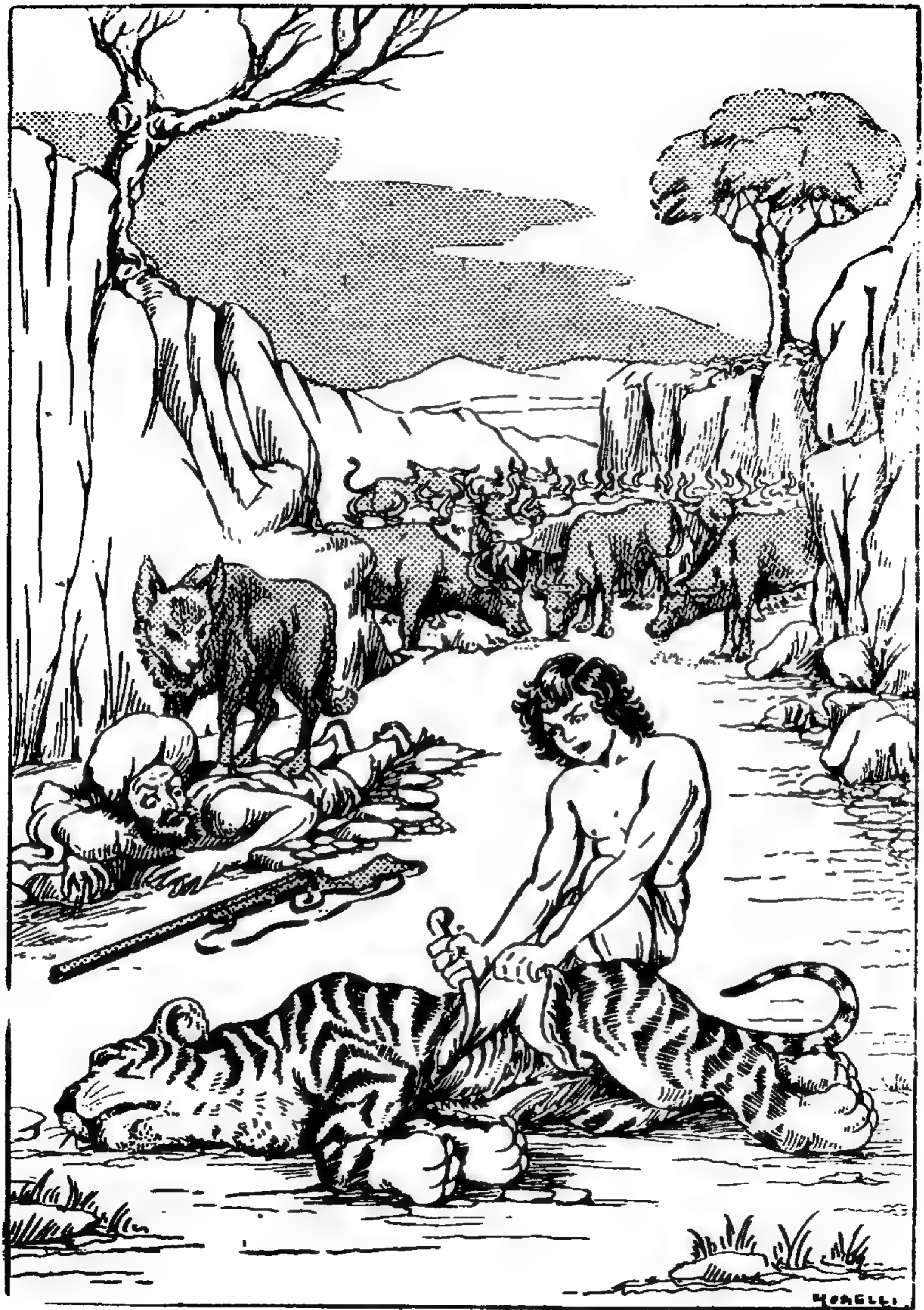
— ما هذا الجنون ؟ أتظن أن في استطاعتك سلخ البير ؟ آه ، هذا هو البير الأعرج ، وقد قتله الماشية ، وهناك مائة روية ثمنًا لرأسه ، حسنًا . حسنًا . سأتغاضى عن إهمالك في حراسة الماشية ، وربما أعطيتك إحدى الروبيات بعد أن أحمل جلده إلى كانهيوارا .

وبحث في منطقته عن قطعة من الصلب والصوان ، ليحرق شواربَ
شيرخان ، فمن عادة الصائدين أن يحرقوا شواربَ البير ، خشية أن يتنازعهم
شبحه فيما بعد .

وَجَعَلَ مُوجِلِي بَسَلِخُ رَجُلَ الْوَحْشِ ، وَيَقُولُ كَأَنَّهُ يَحْدُثُ نَفْسَهُ :

— تماماً ، ستأخذ الجلدَ إذاً إلى كانهيوارا من أجل الجائزة ، وربما أعطيتني روبية ؟ لا . احتفظ بروبيتك ، واعلم أني أريد الاحتفاظ بهذا الجلد ، أبعد النارَ أيها العجوز !

— أمكذا تتحدثُ إلى زعيم القناصة في قريرتك ؟ لقد كان الحيوانُ بطيئًا لامتلاء بطنه ، ولولا الحظَّ وغباءةُ الماشية لما استطعت قتله . أو تجرؤ ، أيها الشحاذُ الصغيرُ على منع بالديو العظيم من حرق شواربه ؟



لن أعطيكَ يا موجلي درهمًا واحدًا ، وستنال من أجل قحتك ضربًا مبرحًا ، فها انهض ، واترك هذه الجثة !

فأجاب موجلي ، وقد انتهى من الرجل وانتقل إلى الكتف :

— أقسم بالثور الذي افتداني ألا أقضي الظهيرة في استماع ثرثرة قرد عجوز : تعالَ يا أكبلا ، فهذا الرجلُ يضايقني .

وكان بالديو ينحنى فوق رأس البير ، فوجد نفسه ممدداً على الأرض
فجأة ، وقد وقف فوقه ذئبٌ رمادىٌ كبيرٌ . واستمر موجلى في عمله ،
وصرت أسنانه وهو يقول :

— صدقت ، يا بالديو ، لن تعطيني درهماً واحداً من الجائزة ،
فبني وبين هذا البئر الأعرج خرباً قديمةً خرجتُ منها ظافراً .

ولو كان بالديو أصغرَ من ذلك بعشر سنوات ، لقاومَ أكبلا ، ولكنه كان شيخاً ، فضلا عن أن ذنباً يُطيعُ أوامرَ صبيّ ويشن الغارات والحروب على يبر ، لهو حيوانٌ رهيبٌ . وظن بالديو أن هذا العملَ من شرِّ أنواع السحر والشعوذة ، وتساءل : أيستطيعُ الطَّلسمُ المعلقُ حول عنقه أن يحميه .

وظلّ في مكانه ساكناً مرتعداً ، وهو يتوقع أن يرى موجلي ينقلبُ
بيراً ؛ وأخيراً قال العجوزُ مرتجفاً لفرط ذعره :

— أيها الملك العظيم .

وتجمع نصفُ القرويينَ ينتظرون عندَ البوابة ؛ فقالَ الصبيُّ مغتبطًا :
- هذا الاستقبالُ العظيمُ ، لأنني قتلتُ شيرخان .

ولكن سيلاً من الأحجار اندفع نحوه ، وتطاير بعضه حول رأسه وأذنيه ، وسمع الناس تصرخ قائلة :

— ياساحرُ ، يا بنَ الذئبِ ، يا شيطانَ الغابةِ ، اذهبْ عنا ، وإلا
مسحك الكاهنُ ذئباً مرةً أخرى . سدّد الرماية ، يا بالديو . سدّد .
وانطلقتْ البندقيةُ الكبيرةُ ، وأصابَ الطلقُ جاموسةً صغيرةً ،
فصرختْ متألّةً .

وهتف القرويون :

— ما أشد سحره ، إنه يحولُ اتجاهَ الطلقات ، ولقد قُلت
يا بالديو جاموستك !

وازداد سقوطُ الأحجار ، فتساعل موجلي متعجباً :

— ما هذا ؟ ! !

فأجاب أكيلاً في رزاقته :

— إن إخوتك هؤلاء يا موجلي لا يختلفون كثيراً عن عشيرة سيوفى ،
ويخيل إلى أنهم يريدون طردك بهذه القذائف .

وصرخ الكاهن ، وهو يحرك غصنًا من نبات التولسي المقدس :

— انصرف عنا ، أيها الذئبُ ، ويا ابن الذئب !

فقال موجلی :

— طردة ثانية؟ لقد طردت بالأمس لأنني بشر، واليوم أطرد لأنني

ذئب !! دَعْنَا نَتَصَرَّفَ يَا أَكْبَلَا .

وخرجت امرأة من بين الجموع ، وتقدمت إلى الأمام ،

وهمتفت قائلة :

— ولدی ! ولدی ، يقولونَ إنک ساحرٌ تنقلبُ وحشاً متى تريدُ

لست أصدق ما يقولون ، ولكن اذهب وإلا قتلوك . أعرفُ أذك

انتقمتم لنا تو من البير !

وصرخت الجموعُ تردعُ المرأةَ :

— عودی ، یا میسیوا ، وإلا رجمناک .

وضحك موجلي ضحكة قصيرة غاضبة ، إذ أصاب فاه حجر

کبیر، وقال :

— عودی إليهم ، ياميسوا ، ولا تصدق حديثهم السخيف ،

لأنه أكاذيب كالتى يرددونها تحت الشجرة الكبيرة . لقد انتقمتم لابنك

من الير ، فوداعاً . لستُ ساحراً ، يا ميسيرا ، فوداعاً مرةً أخرى .

عودى لأتني سأرسلُ الماشيةَ في سرعة الرياح .

والتفت إلى الذئب قائلاً :

— ادفع الماشية إلى الأمام ، يا أكبلا .

وكانت الماشية في شوق شديد إلى العودة ، فاندفعت نحو القرية دون أن يعوى أكبلا ، وتسارعت إلى البوابة كالإعصار ، فتفرق الناس يمينا وشمالا .

فقال موجلى في سخريه :

— عدوها ، فربما أكونُ قد سرقْتُ واحدةً منها ، عدوها ، فلن أرعى
لكم ماشيةً بعدَ اليوم. وداعاً ، يا بني البشر ، واشكروا ميسيو ، فمن أجلها
لن أعودَ مع ذنابي ، لأرعبتكم ، أو أعذبكم في غدواتكم وروحاتكم .
ورجعَ أدراجه ، وابتعد في الظلام مع الذئب الأوحـد ، وعندما رفعَ
رأسه ، وشخصَ إلى النجوم ، أحس براحة عظيمة ، وغمرته سعادةٌ
فياضةٌ ؛ وقال :

— لن أنام ، في شرك بعد الآن ، فهيا بنا ، يا أكيلا ، لنحضر
جلد شيرخان ، ثم ننصرف . لن نؤذي أهل القرية إكراماً لميسيو
الطبيبة .

ويزغ القمرُ في السماء ، وأطلَّ على السهل ، فابيض كأنه اللبنُ !
ورأى القرويون موجلي يسيرُ من بعيد ، وهو يحملُ الجلدَ فوقَ رأسه ،
ويقطعُ الأميالَ مع زميليه في خطى الذئاب السريعة .

وقرعت أجراسُ المعبدِ سروراً ، ودرّدتِ الطبولُ ، فبكت ميسيو ،
أما بالديو فجعلَ يردد قصةَ مغامرته مع موجلى ، ويضيفُ إليها حوادثَ

من خیالہ ، إلى أن قالَ إن أكبلا وقفَ على خلفيته ، وتحدث إليه
كما يتحدث البشرُ .

وكان القمرُ ينحدرُ نحوَ الغروبِ عندما وصلَ موجلي وذئباه إلى التل ، حيثُ كانت صخرة الشورى ، ووقفوا عندَ كهف الأم ذئبة .

فقال موجلی :

— لقد نبذتني عشيرة البشر ، يا أماء ، فعدتُ بجلد شیرخان برًا
دوعدی .

وفزعت الأم ذئبة ، وخرجت من الكهف تتبعها الجراء ، ونظرت إلى
الجلد ، فالتفت عيناها بهجة وسروراً ! وقالت :

— لقد قلتُ له يومَ جاءَ يجرى خلفك ، وحشرَ رأسه وكتفيه في
فُوّه الكهف ، إن الصائدَ سيكونُ مصيداً ؛ فحسناً فعلتَ ، أيها
الضفدعُ الصغيرُ .

وهتفَ صوتٌ عميقٌ من الدغل يقولُ :

— أعظم بما أتيتَ ، يا أخى الصغيرُ . لقد تركتنا فى وحشة نقاسى
الوحدةَ فى الغاية بعدك .

وأقبلَ بجھيرا ، ووقفَ بجوار قدمي موجلي العاريتين ، وذهبوا جميعاً
إلى صخرة الشورى ، فنشر موجلي جلده البير فوق الصخرة المسطحة حيثُ
اعتادَ أكبلا أن يجلسَ فيها مضى ، وثبتَ أطرافَ الجلد بأربعة أغصان .

« النشيد الذي ألقاه موجلي وهو يرقص على »

« جلد شیرخان فوق صخره الشوری : »

هذه أغنيتي أنشدها
هدد الشيرخان أن يقتلني
كل ونم واحلم بصيد وافر
كل ونم واحلم فكم من نائم
أنا في المرعى وحيد هائم
تضرب الأرض وترعى غضباً
إيه يا شرخان إني مقبل
ها هما هذان ذئبان معي
أيها الذئبان كونا صحتي
سوف أمضي صاعداً أعلى الربى
إيه يا شرخان إني مقبل
خبرني عنه يا ماء ويا

فاستمعوا الضفدع موجلي في النشيد
 أيها الشيرخان أكثر الوعيد
 وامتلئ شرباً من الماء الزلال
 لا يرى في صحوه إلا الوبال
 حول الثيران في المرج تخور
 فإذا لاح لها الشر ثور
 نحو واديك أما زلت تنام ؟
 صاحباً عهدى من الرهط الكرام
 وابعث الثيران للشعب القريب
 فانطلق يا ذئب للوادي العشيب
 فانتفض وانهض إلى وعر القتال
 أيها الصخر وأشجار الدغال

ما لنا والناس قد سال دى
فامضيا بى يا صديقى إلى
اشهدن يا ماء ونجونا على
نبذنى كنوى التمر إذا
لا أبالهم جميعاً - بشرأ
فذئاب خلعتنى مرة
لانى أرقص ، حسبي أنى
دونى الغاب مجال واسع
غير أنى لست أدرى ما الذى
من فى تجرى دماء وعلى
إن فى صدرى صراعاً طاحناً
أذرف الدمع ووجهى ضاحك
لا أبالى ما الذى يحزننى ؟
جلده تحنى ودونى عالم
يا ذئاب الغاب هباً فانظروا
إن قلبى مثقل يا ليتنى

حسبنا ما كان منهم من جحود
صخرة الشورى إلى الوحش أعود
أنى لم ألق عند الناس خيراً
أكلوا فى ساحة القرية تمراً
أو ذئاباً - لست منهم بحزين
وأناس خلعتنى بعد حين
فوق جلد البير العاتى العظيم
فيه أمضى وإذا شئت أقيم
فى فؤادى من شجون وهموم
خاطرى من ظلم الحزن غيوم
كالأفاعى فى تهاريس الربيع
فأنا شخصان خال وجميع
وأنا أرقص فوق الشيرخان
كله يعرفنى حرّ الجنان
دققوا الأنظار يا شعب الذئاب
أعرف العلة فى سر اكتئابى



دار المعارف

کتابخانه
قرش جندی
۵۹۰۰